التربية بالقصة

الجزء الثاني

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]

obeikandl.com

obeikandl.com

التربية بالقصة

القصة[1] نوع من الأدب له جماله وسحره ومتعته، يشغف به الصغار والكبار، ولقد تفنن القصاص عبر العصور في امتلاك ناصية الجمهور من خلال قصص مفتعلة.. قد يكون لها أساس وقد لا يكون.. شغلوا بها الناس وضيعوا لهم أوقاتهم، وصار الناس منقسمين مع أبطال القصة.. يؤيد هذا الفريق بطلاً.. ويؤيد الفريق الآخر بطلاً.. ولقد أخرج سيدنا علي ﷺ القصاص (من هذا الصنف) من مسجد جامع البصرة[2].

والقصة في القرآن الكريم ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في بقية القصص الفنية.. إنما هو وسيلة من وسائل التربية الإسلامية[3] التي تسهم في بناء الشخصية الإسلامية من خلال توصيل المعلومات والحقائق بطريقة شيقة لذيذة، وتربية الأطفال تربية خلقية صحيحة، فهي تضع المثل أمامهم وتستثير ميلهم إلى التقليد وتحرك قابليتهم للاستهواء[4].

والإسلام يدرك هذا الميل الفطري للقصة ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فاستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم.

وهو يستخدم كل أنواع القصة: **القصة التاريخية** الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها. **والقصة الواقعية** التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك النموذج.

---

(1) التربية ودورها في تشكيل السلوك، مصطفى محمد الطحان.
(2) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (1/ 46).
(3) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص: 117.
(4) التربية وطرق التدريس، صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد (1/ 247).

والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أية لحظة من اللحظات وفي أي عصر من العصور.

من النوع الأول كل من قصص الأنبياء، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء هذا التكذيب. وهي قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها على وجه التحديد والحصر: موسى وفرعون، عيسى وبني إسرائيل. صالح وثمود، هود وعاد، شعيب ومدين، لوط وقريته، نوح وقومه، إبراهيم وإسماعيل.. إلخ.

ومن النوع الثاني قصة ابنيْ آدم:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

ومن النوع الأخير قصة صاحب الجنتين: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ

(1) سورة المائدة، الآيات: 27 - 30.

أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾[1].

والقرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي: تربية الروح، وتربية العقل، وتربية الجسم، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس، والتربية بالقدوة، والتربية بالموعظة، فهي سجل حافل لجميع التوجيهات[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[4].

لقد كان في قصصهم عبرة

والقرآن الكريم لا يسوق من القصة إلا ما يتعلق بالغرض الذي سيقت من أجله، كي تظل العلاقة وثيقة بين القصة والمناسبة الداعية لذكرها. من أجل ذلك لا نكاد نجد القرآن يسرد القصة سرداً تاريخياً تبعاً لسلسلة الوقائع والأحداث، إذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارىء عن المناسبة والغرض الأصلي.

في قصة أصحاب الكهف.. قال القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.. من هؤلاء القوم، وفي أي بلدة كانوا يعيشون، وكم كان عددهم، وما هي أسماؤهم؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة عن هذه الأسئلة كلها، ولكنها لو سارت على هذا المنوال، لغفل القارىء عن العبرة والعظة اللتين سيقت القصة من أجلهما. وحتى لا يندمج القارىء مع أحداث القصة وينصرف إليها بكل تفكيره، نجد القرآن الكريم يقطع أحداثها بالعظات والعبر التي يريد أن يلفت النظر إليها.

---

(1) سورة الكهف، الآيات: 32 - 43.
(2) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب 1/ 193.
(3) سورة آل عمران، الآية: 62.
(4) سورة يوسف، الآية: 3.

قال تعالى في سورة يوسف:

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾[1].

لقد أدخل العبارات الإرشادية والعبرة ضمن أحداث القصة.. ليلفت النظر لها.. فقد سيقت القصة من أجلها[2].

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[3].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾[4].

فأهداف دراسة التاريخ من وجهة النظر التربوية هي:

◄ البحث عن **العبرة** في الحدث التاريخي.

◄ والبحث عن تحقيق سنة من **سنن الله** في الأمم والأجيال، فأحداث التاريخ لا تمضي عبثاً بل وفق سنن لا تتخلف، المقدمات فيها تفضي إلى النتائج المقررة..

◄ والبحث عن أثر **إصلاح النفس** البشرية وتربيتها في مجرى الحوادث التاريخية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[5].

◄ والبحث عن حكمة الله وتدبيره في **ضرب الظالمين** ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾[6].

---

(1) سورة يوسف، الآيات: 39 - 41.
(2) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمٰن النحلاوي.
(3) سورة يوسف، الآية: 111.
(4) سورة النازعات، الآية: 26.
(5) سورة الأنفال، الآية: 53.
(6) سورة الحج، الآية: 40.

◄ وبشرى للمؤمنين الذين يأخذون بالأسباب، بنصر الله.

◄ ومعرفة أن الغاية من القوة والغلبة والتمكن في الأرض هي **إقامة شرع الله** ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

◄ والبحث عن **الموازين الربانية** في الأحداث التاريخية، مما يمكن الدارس للتاريخ الذي تعرف على السنن الربانية من معرفة صواب الأحداث من خطئها.. ومن تمديد ذلك إلى أحداث المستقبل[2].

وعلى المربي أن يشجع الشباب على قراءة السير، وأن يختار القصص التي تنمي المواهب المختلفة، على أن تكون بعيدة عن الإسفاف والسفه وإثارة الغرائز. وأن تكون واضحة المعنى بينة الحكمة خالية من الخرافات والأساطير مقتصرة على الحقائق سواء كانت علمية أو تاريخية، بأسلوب مهذب رقيق رفيع مفهوم وشيق ورشيق[3].

(1) سورة الحج، الآية: 41.
(2) أصول التربية الإسلامية وأساليبها - عبد الرحمٰن النحلاوي (بتصرف).
(3) المراهقون - سمير الراضي، ص: 104.

obeikandl.com

(1)

قصة أصحاب الغار

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.**

◄ **قال رجل منهم: اللّهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما.. فحلبت لهما غبوقهما[1] فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى يرقَ الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقَهما: اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.**

◄ **وقال الآخر: اللّهم إنه كانت لي ابنة عم أحبَّ الناس إليّ (كنت أحبها كأشدّ ما يحب الرجالُ النساءَ) فأردتها على نفسها فامتنعت مني، حتى ألمّت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها (فلما قعدت بين رجليها) قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها: اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.**

◄ **وقال الثالث: اللّهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم، غير رجل**

---

(1) الغبوق شراب المساء، والصبوح شراب الصباح.

واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدّ إليّ أجري فقلت كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بي، فقلت: لا أستهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللّهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[1].

دروس من القصة

◄ **من الدروس: جواز التوسل** إلى الله بصالح الأعمال. فقد توسّل الأول ببره بوالديه.. وتوسل الثاني بمخافته من الله، تلك المخافة التي دفعته إلى ترك الفاحشة.. وتوسل الثالث بحفظه لأموال أجيره، فثمر له ماله، وعندما عاد أعطاه مالاً عظيماً.

◄ **ومن الدروس: أهمية الدعاء** عند حلول الكرب والبلاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3].

فالعباد عباده، والرد المباشر عليهم منه وحده.. لم يقل: فقل لهم: إني قريب.. إنما تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال.. ولم يقل أسمع الدعاء.. إنما عجل بإجابة الدعاء: أجيب دعوة الداع إذا دعان[4].

وفي الحديث عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى ليستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبين**»[5].

والناس قد يغفلون عن الدعاء في ساعات الرخاء، وفترات الغفلة. أما حين

---

(1) متفق عليه.
(2) سورة غافر، الآية: 60.
(3) سورة البقرة، الآية: 186.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب 1/ 173.
(5) أبو داود والترمذي وابن ماجه.

تلجئهم الشدة، ويضطرهم الكرب.. تزول عنهم غشاوة الغفلة ويرجعون إلى ربهم منيبين مهما كانوا من قبل غافلين أو مكابرين.

والمضطر الذي أوشكت سفينته على الغرق، أو الذي سقط في متاهة لا يعرف كيف يتخلص منها.. أو دخل غاراً للمبيت فانحدرت صخرة فسدت عليه الغار.. ينظر حواليه فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة وأسباب الخلاص. لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده. وكل ما كان يعده لساعة الشدة قد زاغ عنه أو تخلى.. وكل ما كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو تولى.. في هذه اللحظة لا يجد له ملجأ إلا الله فهو الذي ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[1].

◄ **ومن الدروس**: أن الله ﷻ يقبل العمل، مهما كان نوعُه، عندما يفعله صاحبه لوجه الله.. فهؤلاء لم يدعوا الله بصلاة أو صيام أو حج أو زكاة.. وإنما دعوه بالأعمال التي يقوم بها كل إنسان صالح في تعامله مع الأحداث.

◄ **ومن الدروس**: إن الله ﷻ يريد أن يغفر للعبد، ويسارع لنجدته.. فما أن أنهوا دعاءهم.. حتى استجاب الله الدعاء وفرّج عنهم.

◄ **ومن الدروس**: أن يجعل الإنسان بينه وبين ربه أعمالاً صادقة مخلصة، يدّخرها ليوم عصيب. فموقف صادق واحد قد ينجي الإنسان من كرب عظيم في الدنيا والآخرة.

(2)

قصة الراهب والعالم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلّ على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة. ثم**

(1) سورة النمل، الآية: 62. في ظلال القرآن - سيد قطب 5/ 2658.

سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.. فانطلق حتى إذا نصفَ الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم (أي حكماً) فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

دروس من القصة:

◄ **من الدروس: سعة رحمة الله بقبول توبة التائبين**، مهما كثرت ذنوبهم، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[2].

إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، كائنة ما كانت. وإنها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال. دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله.

إنه الإنسان، وقد أسرف في المعصية، ولجّ في الذنب، وأبق عن الحمى، وشرد عن الطريق، ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخية، وظلالها السمحة المحيية، ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة. التوبة وحدها، الأوبة إلى الباب المفتوح الذي ليس عليه بواب يمنع، والذي لا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان[3].

◄ **ومن الدروس: فضل العالم** على العابد، فقد أفتى العابد بجهل، وأفتى

---

(1) متفق عليه.
(2) سورة الزمر، الآية: 53.
(3) في ظلال القرآن - سيد قطب 5/ 3058.

العالم بعلم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

والعلم الحق هو المعرفة، هو إدراك الحق، هو تفتح البصيرة، هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود. وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن، ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى، ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس[2].

◄ **ومن الدروس:** إن المؤمن يحتاج إلى أرض خير يعبد فيها الله، وإلى بيئة صالحة تحثه على الخير.. وإلى البعد عن أرض السوء التي تغري الإنسان بارتكاب الفواحش والمنكرات.

والانتقال من بيئة كافرة إلى **بيئة أخرى صالحة**، تربط المؤمن بمؤمنين آخرين، يتعاطف معهم، ويلقاهم على حديث الإيمان وأفعال الإيمان، فيصلي معهم وتصبح الصلاة عادة. ويستمع معهم إلى القرآن، ويصبح استماع القرآن عادة. ويتواد معهم وتصبح المودة عادة. ويحمل معهم الكروب، ويصبح احتمال الكروب في سبيل العقيدة عادة. وينشيء مجتمعاً تعيش فيه التصورات والفضائل الإسلامية، وبذلك تصبح العادة عملاً فردياً وارتباطاً اجتماعياً في آن واحد، فيضمن لها الدوام والاستمرار[3].

◄ **ومن الدروس:** إن هذا الرجل دخل الجنة ولم يعمل خيراً قط. وكما تخاصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.. فما زال هذا الخصام موجوداً حتى اليوم بين قوم يرون أن الإيمان اعتقاد وعمل، وقوم يرون الإيمان اعتقاداً بالله ورسوله.. وقد يدخل الجنة مؤمن لم يعمل خيراً قط[4].

---

(1) سورة الزمر، الآية: 9.
(2) في ظلال القرآن - سيد قطب 5/ 3042.
(3) التربية ودورها في تشكيل السلوك - مصطفى محمد الطحان، ص: 338.
(4) يراجع في ذلك كتاب دعاة لا قضاة - الإمام حسن الهضيبي.

(3)
قصة أصحاب الأخدود

لقد كان في قصصهم عبرة

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر فلمّا كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلّمه، وكان في طريقه - إذا سلك - راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً فقال: اللّهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل منّي، قد بلغ من أمرك ما أرى.

المحنة سنة الدعوات

وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ. وكان الغلام يبرىء الأكمه[1] والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ٰهنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس. فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟

---

(1) الذي خلق أعمى.

قال: ربي.

قال: ولك رب غيري؟

قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل! فقال:

إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له:

ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له:

ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له:

ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللّهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[1] وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللّهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى.

باسم الله رب الغلام

فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: ما هو؟

قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من

(1) سفينة صغيرة.

كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله رب الغلام. ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه فمات. فقال الناس: (آمنا برب الغلام). فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس.

أصحاب الأخدود

فأمر بالأخدود بأفواه السِّكك[1] فخدّت وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق»[2].

معالم تربوية

تناولت القصة بعض التفصيلات في قصة أصحاب الأخدود، التي خلدها القرآن الكريم في سورة البروج. . وهي حقيقة بأن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض وفي كل حين.

فالقرآن الكريم وهو يتناول هذه القصة، كان يخط بها خطوطاً عميقة في تصور طبيعة الدعوة إلى الله، ودور البشر فيها، واحتمالاتها المتوقعة في مجالها الواسع - وهو أوسع رقعة من الأرض، وأبعد مدى من الحياة الدنيا - وكان يرسم للمؤمنين معالم الطريق، ويعدّ نفوسهم لتلقي أي من هذه الاحتمالات التي يجري بها القدر المرسوم، وفق الحكمة المكنونة في غيب الله المستور.

إنها قصة فئة آمنت بربها، واستعلنت حقيقة إيمانها. ثم تعرضت للفتنة من أعداء جبارين بطاشين مستهترين بحق (الإنسان) في **حرية الاعتقاد** بالحق

(1) جمع سكة وهي الطريق.
(2) رواه مسلم والترمذي.

والإيمان بالله العزيز الحميد، وبكرامة الإنسان عند الله عن أن يكون لعبة يتسلى الطغاة بآلام تعذيبها، ويتلهون بمنظرها في أثناء التعذيب بالحريق!.

وقد ارتفع الإيمان بهذه القلوب على الفتنة، وانتصرت فيها العقيدة على الحياة، فلم ترضخ لتهديد الجبارين الطغاة، ولم تفتن عن دينها، وهي تحرق بالنار حتى تموت.

لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة، فلم يستذلها حب البقاء وهي تعاين الموت بهذه الطريقة البشعة، وانطلقت من قيود الأرض وجواذبها جميعاً، وارتفعت على ذواتها بانتصار العقيدة على الحياة فيها.

وفي مقابل هذه القلوب المؤمنة الخيرة الرفيعة الكريمة كانت هناك جبلّات جاحدة شريرة مجرمة لئيمة. وجلس أصحاب هذه الجبلّات على النار، يشهدون كيف يتعذب المؤمنون ويتألمون. جلسوا يتلهون بمنظر الحياة تأكلها النار، والأناسي الكرام يتحولون وقوداً وتراباً. وكلما ألقي فتى أو فتاة، صبية أو عجوز، طفل أو شيخ، من المؤمنين الخيرين الكرام في النار، ارتفعت النشوة الخسيسة في نفوس الطغاة، وعربد السعار المجنون بالدماء والأشلاء!.

هذا هو الحادث البشع الذي انتكست فيه جبلات الطغاة وارتكست في هذه الحمأة، فراحت تلتذ مشهد التعذيب المروع العنيف، بهذه الخساسة التي لم يرتكس فيها وحش قط، فالوحش يفترس ليقتات، لا ليلتذ آلام الفريسة في لؤم وخسة!.

وهو ذاته الحادث الذي ارتفعت فيه أرواح المؤمنين وتحررت وانطلقت إلى ذلك الأوج السامي الرفيع، الذي تشرف به البشرية في جميع الأجيال والعصور.

في حساب الأرض يبدو أن الطغيان قد انتصر على الإيمان. وأن هذا الإيمان الذي بلغ تلك الذروة العالية، في نفوس الفئة الخيرة الكريمة الثابتة المستعلية.. لم يكن له وزن ولا حساب في المعركة التي دارت بين الإيمان والطغيان!.

ولا تذكر الروايات التي وردت في هذا الحادث، كما لا تذكر النصوص القرآنية، أن الله قد أخذ أولئك الطغاة في الأرض بجريمتهم البشعة، كما أخذ قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وقوم لوط. أو كما أخذ فرعون وجنوده أخذ عزيز مقتدر.

ففي حساب الأرض تبدو هذه الخاتمة أسيفة أليمة!

أفهكذا ينتهي الأمر، وتذهب الفئة المؤمنة التي ارتفعت إلى ذروة الإيمان؟ تذهب مع آلامها الفاجعة في الأخدود؟ بينما تذهب الفئة الباغية، التي ارتكست إلى هذه الحمأة، ناجية؟

حساب الأرض يحيك في الصدر شيء أمام هذه الخاتمة الأسيفة!

ولكن القرآن يعلم المؤمنين شيئاً آخر، ويكشف لهم عن حقيقة أخرى، ويبصرهم بطبيعة القيم التي يزنون بها، وبمجال المعركة التي يخوضونها.

القيمة الكبرى في الميزان

إن الحياة وسائر ما يلابسها من لذائذ وآلام، ومن متاع وحرمان.. ليست هي القيمة الكبرى في الميزان.. وليست هي السلعة التي تقرر حساب الربح والخسارة. والنصر ليس مقصوراً على الغلبة الظاهرة. فهذه صورة واحدة من صور النصر الكثيرة.

إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي **قيمة العقيدة**، وإن السلعة الرائجة في سوق الله هي سلعة الإيمان. وإن النصر في أرفع صوره هو انتصار الروح على المادة، وانتصار العقيدة على الألم، وانتصار الإيمان على الفتنة.. وفي هذا **الحادث انتصرت أرواح المؤمنين على الخوف والألم، وانتصرت على جواذب الأرض والحياة، وانتصرت على الفتنة انتصاراً يشرف الجنس البشري كله في جميع الأعصار.. وهذا هو الانتصار..**

إن الناس جميعاً يموتون، وتختلف الأسباب. ولكن الناس جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار، ولا يرتفعون هذا الارتفاع، ولا يتحررون هذا التحرر،

ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى هذه الآفاق.. إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من عباده لتشارك الناس في الموت، وتنفرد دون الناس في المجد، المجد في الملأ الأعلى، وفي دنيا الناس أيضاً، إذا نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال!.

لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم. ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد؟.

إنه معنى كريم جداً، ومعنى كبير جداً، هذا الذي ربحوه وهم بعد في الأرض، ربحوه وهم يجدون مس النار، فتحترق أجسادهم الفانية، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار!.

مجال المعركة

ثم إن مجال المعركة ليس هو الأرض وحدها، وليس هو الحياة الدنيا وحدها. وشهود المعركة ليسوا هم الناس في جيل من الأجيال، إن الملأ الأعلى يشارك في أحداث الأرض ويشهدها ويشهد عليها، ويزنها بميزان غير ميزان الأرض في جيل من أجيالها، وغير ميزان الأرض في أجيالها جميعاً.

والملأ الأعلى يضم من الأرواح الكريمة أضعاف أضعاف ما تضم الأرض من الناس.. وما من شك أن ثناء الملأ الأعلى وتكريمه أكبر وأرجح في أي ميزان من رأي أهل الأرض وتقديرهم على الإطلاق! وبعد ذلك كله هناك الآخرة. وهي المجال الأصيل الذي يلحق به مجال الأرض، ولا ينفصل عنه، لا في الحقيقة الواقعة، ولا في حس المؤمن بهذه الحقيقة.

فالمعركة إذاً لم تنته، وخاتمتها الحقيقية لم تجيء بعد، والحكم عليها بالجزء الذي عرض منها على الأرض حكم غير صحيح، لأنه حكم على الشطر

الصغير منها والشطر الزهيد[1]..

أما الدروس التربوية التي نستنتجها من هذه القصة فهي:

1 - القصص: أسلوب مهم من وسائل التربية الإسلامية، فهي تسهم بطريقة عرضها، وإدارة حوادثها، ومن خلال توصيل المعلومات والحقائق بطريقة شيقة، باستثارة نفوس السامعين وتجعلهم أكثر ميلاً للتقليد والاقتداء بأشخاص القصة، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2].

2 - ومن الدروس: أن المحنة من سنن الدعوات.. وليس صحيحاً أن المحنة لا تقع إلا نتيجة خطأ يرتكبه الدعاة.. ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[3].

إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم.

هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية، في ميزان الله سبحانه.. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص.

إنها أمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء.

---

(1) معالم في الطريق - سيد قطب، ص: 173 - 177.
(2) سورة يوسف، الآية: 111.
(3) سورة العنكبوت، الآيتان: 2 - 3.

والفتنة أنواع

من الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان، وهذه هي الصورة البارزة للفتنة.

وهناك فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه، وهو لا يملك عنهم دفعاً. وقد يهتفون به ليسألهم أو ليستسلم، وينادونه باسم الحب والقرابة.

وهناك فتنة إقبال الدنيا على المبطلين، بينما هو وإخوانه لا يملكون من أمر الحياة شيئاً.

وهناك فتنة الغربة في البيئة والاستيحاش بالعقيدة، حين ينظر المؤمن فيرى كل ما حوله وكل من حوله غارقاً في تيار الضلالة، وهو وحده موحش غريب طريد.

وهناك الفتنة الكبرى.. أكبر من هذا كله وأعنف. فتنة النفس والشهوة، وجاذبية الأرض، وثقلة اللحم والدم، والرغبة في المتاع والسلطان، أو في الدعة والاطمئنان، وصعوبة الاستقامة على صراط الإيمان والاستواء على مرتقاه، مع المعوقات والمثبطات في أعماق النفس، وفي ملابسات الحياة، وفي منطق البيئة، وفي تطورات أهل الزمان!.

فإذا طال الأمد، وأبطأ نصر الله، كانت الفتنة أشد وأقسى، وكان الابتلاء أشد وأعنف، ولم يثبت إلا من عصم الله. وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان، ويؤتمنون على تلك الأمانة الكبرى، أمانة السماء والأرض، وأمانة الله في ضمير الإنسان. جاء في الصحيح: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإذا كان في دينه صلابة زيد له في البلاء**»[1].

---

(1) في ظلال القرآن - سيد قطب 5/ 2721.

3 - ومن الدروس: أن الهمّ الأكبر للدعاة هو انتصار الدعوة، قبل أن يكون النجاة لأشخاصهم.. فالغلام هنا يرشد الطاغية إلى أمر يتمكن فيه من قتله.. ولكنه الأمر الذي تنتصر به الدعوة، فما يتصوره بعض الناس نوعاً من البلاء، قد يكون سبباً لنصر الدعوة.

4 - ومن الدروس: أن الناس جميعاً يموتون.. ولكن أصحاب الدعوات وحدهم الذين يتفردون في المجد في الدنيا والآخرة..

5 - ومن الدروس: أن الله يهيىء لدينه بين الفترة والفترة من يجدد للناس أمر دينهم، كما هيأ الغلام ليكون سبباً في إيمان قومه.

قصص ذكرها القرآن الكريم وهو يربي المؤمنين..

وما على الدعاة إلا الوعي والالتزام والتطبيق...

(4)

قصة الرجل يزور أخاه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته[1] ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟**

قال: أريد أخاً لي في هذه القرية.

قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟.

قال: لا، غير أني أحببته في الله عز وجل.

قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته»[2].

---

(1) طريقه.

(2) رواه مسلم.

شرح القصة

هذه قصة رجل رحل من قريته إلى قرية أخرى ليزور أخاً له في الله. فبعث الله له ملكاً يسأله عن سبب زيارته.. أمن أجل قرابة بينك وبينه، أم لمصلحة لك عنده، أم لمعروف أسداه إليك وأنت تريد أن تردّ له جميله.. أم ماذا؟.

ويجيب الرجل أنه يزوره لأنه يحبه في الله..

ويبشره الملك أن الله قد أحبه لحبه إياه..

درس من القصة

أهم درس نستفيده من هذه القصة يدور حول الأخوة والحب في الله. **فالأخوة** هي إحدى المقومات الأساسية التي يعتمد عليها الإسلام في بناء المجتمع الإسلامي، وإحكام الربط بين أفراده وأبنائه. ويوم أقام الرسول ﷺ المجتمع الإسلامي الأول في المدينة كانت الأخوة هي الدعامة الثانية في صرح الدولة الإسلامية بعد العقيدة[1].

فلا أخوة بدون إيمان، ولا إيمان بدون أخوة.

وإن وجدت أخوة ولم تجد من ورائها إيماناً فهو التقاء مصالح وتبادل منافع. وإن وجدت إيماناً ولم تجد بجانبه أخوة فهو إيمان ناقص.. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2].

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ. المتحابّون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيّون والصدّيقون والشهداء**»[3].

---

(1) مشكلات الدعوة والداعية - فتحي يكن، ص: 206.

(2) سورة الحجرات، الآية: 10.

(3) رواه أحمد وابن حبان والحاكم.

فالأخوة سر من أسرار الله القدسية لا يخضع لمقاييس الناس ولا تجري عليه موازينهم، تمتلىء به النفس دون مقدمات، وتروى به القلوب في لحظات. يجتمع المؤمنان ولم يسبق لهما تعارف، ولم يكن بينهما من قبل لقاء، فإذا هما أخوان لا يطيق أحدهما فراق أخيه.

إنها امتزاج روح بروح، وتصافح قلب مع قلب. إنها الشراب الطهور الذي يسقيه الله لعباده المؤمنين، فإذا المحبة تنبض في عروقهم وتسري مع دمائهم، وتتألق في وجوههم. عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله**».

قالوا: يا رسول الله، ألا تخبرنا من هم؟

قال: «**قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزنوا**».

ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

هكذا يقوم المجتمع المسلم.. بالعقيدة والأخوة في الله.. فهل ينتبه الدعاة إلى الله لهذه الأسس فيقيموا عليها بنيانهم.. أم على قلوب أقفالها؟.

(5)

قصة رجل دخل الجنة في كلب سقاه

قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيه فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رَقِيَ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له.**

(1) سورة يونس، الآية: 62، رواه الترمذي.

قالوا: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟
فقال: «**في كل كبد رطبة أجر**»[1].

دروس تربوية

في هذه القصة دروس تربوية عظيمة تحتاج أن يتمعن فيها المسلم.. ليعرف كم كرّم الإسلام الحياة، وما تضم من إنسان وحيوان ونبات وجماد..

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.. بغض النظر عن لونه أو لغته أو دينه أو قومه..

وإذا كان تكريم الإنسان.. أمراً اتفقت عليه الحضارات.. مع التفريق بين إنسان وإنسان.. وحضارة وحضارة.. إلا أن تكريم الحيوان قد سبق فيه الإسلام حضارات الدنيا..

من روائع حضارتنا

وأول ما تعلنه مبادىء حضارتنا في مجال الرفق بالحيوان، أن تقرر أن عالم الحيوان كعالم الإنسان له خصائصه وطبائعه وشعوره: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[2]. فله حق الرفق والرحمة كحق الإنسان (الراحمون يرحمهم الرحمٰن)[3]، «**من أعطي الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة**»[4].

بل إن الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة كما ورد في قصة الرجل الذي دخل الجنة في كلب سقاه، كما إن القسوة على الحيوان تدخل النار كما ورد في قصة المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها.

وتمضي الشريعة في تشريع الرحمة بالحيوان، فتحرّم المكث طويلاً على

---

(1) رواه الشيخان.
(2) سورة الأنعام، الآية: 38.
(3) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم.
(4) رواه أحمد.

ظهره وهو واقف، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسٍ**»[1]. وتحرم إجاعته وتعريضه للضعف والهزال. فقد مرّ ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه، فقال: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة**»[2]. كما يحرم إرهاقه بالعمل فوق ما يتحمل. دخل رسول الله ﷺ بستاناً لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه رسول الله ﷺ فمسح دموعه، ثم قال: «**من صاحب هذا الجمل**»؟ فقال صاحبه: أنا يا رسول الله، فقال له ﷺ: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه**»[3] (تتعبه بكثرة استعماله). كما يحرم التلهي به في الصيد «**من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة**»[4]. واتخاذه هدفاً لتعليم الإصابة، فقد «**لعن رسول الله ﷺ من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً**»[5] (أي هدفاً). وتنهى عن التحريش بين الحيوانات، ووسمها في وجوهها بالكي والنار فقد مرّ الرسول ﷺ على حمار قد وسم في وجهه، فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»[6].

واسمعوا ما أروع هذه الرحمة بالحيوان وأبلغ دلالتها على روح حضارتنا. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فرأينا حمّرة - طير يشبه العصفور - معها فرخان لها، فأخذناهما فجاءت الحمّرة تعرّش - ترفرف بجناحيها -، فلما جاء رسول الله قال: «**من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها**». ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال: «**من أحرق هذه؟**» قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار**»[7].

---

(1) رواه أحمد والحاكم.
(2) رواه أبو داود وابن خزيمة.
(3) رواه أحمد وأبو داود.
(4) رواه النسائي وابن حبان.
(5) رواه البخاري ومسلم.
(6) رواه الطبراني.
(7) رواه أبو داود.

وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال. فهم يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أُجبر على بيعه أو الإنفاق عليه، أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه، أو ذبحه إذا كان مما يؤكل. وقد ذهبوا إلى ما هو أبعد من هذا، فقال بعضهم: إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف. ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق.

هذه هي مبادىء الرفق بالحيوان في حضارتنا وتشريعنا. فكيف كان الواقع التطبيقي لها؟

بينما رسول الله ﷺ في بعض سفره، إذ سمع امرأة من الأنصار تلعن ناقة لها وهي تركبها، فأنكر ذلك عليها وقال: «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**»، وأُخذت الناقة وتركت تمشي في الناس لا يعرض لها أحد[1].

ومرّ عمر رضي الله عنه برجل يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له: ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً..

وهكذا كان طابع حضارتنا رفقاً بالحيوان وعناية به من قبل الدولة والمؤسسات الاجتماعية.

أما عناية الدولة فليس أدل على ذلك من أن خلفاءنا كانوا يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرفق بالحيوان ومنع الأذى عنه والإضرار به.

فقد أذاع عمر بن عبد العزيز في إحدى رسائله إلى الولاة أن ينهوا الناس عن ركض الفرس في غير حق.

وكتب إلى صاحب السكك (وهي وظيفة تشبه مصلحة السير) أن لا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو أن ينخسها بمقرعة في أسفلها حديدة.

وكان من وظيفة المحتسب (وهي وظيفة تشبه في بعض صلاحياتها وظيفة

(1) رواه مسلم.

الشرطي في عصرنا الحاضر) أن يمنع الناس من تحميل الدواب فوق ما تطيق، أو تعذيبها وضربها أثناء السير، فمن رآه يفعل ذلك أدّبه وعاقبه.

وأما **المؤسسات الاجتماعية** فقد كان للحيوان منها نصيب كبير. وحسبنا أن نجد في ثبت الأوقاف القديمة أوقافاً خاصاً لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً لرعي الحيوانات المسنة العاجزة ومنها أرض المرج الأخضر (التي يقام عليها الآن الملعب البلدي بدمشق) فإنها وقف للخيول العاجزة التي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع بها، فترعى وتنام، حتى لقد كان يجتمع في دارها المخصصة لها مئات القطط الفارهة السمينة التي يقدم لها الطعام كل يوم وهي مقيمة لا تتحرك إلا للرياضة والنزهة.

ولعل أصدق مثال عن روح الشعب في ظل حضارتنا، أن ترى صحابياً جليلاً كأبي الدرداء رضي الله عنه يكون له بعير فيقول له عند الموت: يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك. وأن صحابياً كعدي بن حاتم رضي الله عنه كان يفتّ الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات لنا لهن علينا حق.

وأن إماماً كبيراً كأبي إسحٰق الشيرازي كان يمشي في طريق ومعه بعض أصحابه فعرض له كلب فزجره صاحبه فنهاه الشيخ وقال له: أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه[1]؟

وهكذا كرّم الإسلام الإنسان.. ورحم الحيوان.. وحافظ على البيئة.. وأحيا موات الأرض.. وحض المسلم على الرحمة.. فالراحمون يرحمهم الرحمن..

فهل ينتبه المسلم إلى ذلك.. وهو يحاول إعادة بناء الأمة؟

(1) من روائع حضارتنا - مصطفى السباعي.

(6)

صامتا عن الحلال وأفطرتا على الغيبة

عن أنس بن مالك عليه السلام قال: أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم وقال: «**لا يفطرن أحد منكم حتى آذن له**».

فصام الناس حتى أمسوا، فجعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله إني ظللت صائماً فأذن لي فأفطر. فيأذن له، الرجل والرجل، حتى جاء رجل فقال:

◄ يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وإنهما تستحيان أن تأتياك فاذن لهما فلتفطرا. فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم قال:

◄ «**إنهما لم تصوما، وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس**»[1]؟

تربية ميدانية

في هذه القصة يعلّمنا رسول الله ﷺ درساً هاماً في **التربية الميدانية**.. كيف نستأصل الشر من النفوس بطريقة عملية إن لم ينجح أسلوب النصح والإرشاد..

فيأمر الناس بصوم يوم.. ولكنهم لا يفطرون حتى يأذن لهم. نوع آخر من الصيام.. لا ينتهي بغروب شمس ذلك اليوم.. ولكنه يحتاج إلى إذن خاص من رسول الله ﷺ.

ويصوم الناس، ويأذن لهم رسول الله فيفطرون.. إلا فتاتين.. يُعرِض عنهما ثم يعرض عنهما.. ليتعمق إحساسهما بالذنب فلا بد أنهما أدركتا فعلتهما!

وبعد الإعراض الطويل يلقي رسول الله ﷺ كلمته الحاسمة المؤثرة: «**إنهما لم تصوما.. وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس**».

«**لقد صامتا عمّا أحلّ الله لهما، وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما**».

---

(1) أبو داود والبيهقي.

الغيبة داء وبيل

والغيبة داء وبيل، يستسهله كثير من الناس.. بل يجعله الكثيرون مادة حديثهم.. وهو كما يهدد الكيان النفسي للإنسان.. يهدد سلامة وأمن المجتمع، قال النبي ﷺ: «**لما عُرج بيَ مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم**»[1].

والغيبة مثل كل الأوبئة تصيب المتحدث المغتاب.. وتصيب السامع الذي قبل بالحديث.. لهذه الأسباب ولخطورة المسألة عالج رسول الله ﷺ هذه الجريمة الاجتماعية بالتحذير تارة وبمواقف عملية تارة أخرى.

في التربية قد ينفع مع البعض **أسلوب الكلمة** الرقيقة الهادئة، يوعظ بها القلب فيتفتح وتتفتح أساريره، وتتفاعل مشاعره فينعكس على جوارحه وسلوكه في الحياة.

وقد لا يكفي البعضَ الموعظةُ الحسنة.. ويطلبون لها شاهداً من الواقع أمامهم. يريدون **درساً عملياً**.. يؤثر في نفوسهم ويشحذها حتى تتحرك الموعظة في قلوبهم.

وقد لا يؤثر الدرس العملي.. حتى يقترن **بالعقوبة**.. فيكون الوقع مباشراً ملموساً.. فيؤدي نتيجة في الأشخاص من ناحية.. وفي العبرة لغيرهم من ناحية أخرى[2].

هكذا تكون التربية.. كلمة هادفة بأسلوب رقيق..

«وإلا فدرس عملي»..

وإذا لم ينفع كل ذلك فعقوبة زاجرة..

وكذلك فليفعل المربون.

---

(1) أبو داود.

(2) وسائل التربية الإسلامية - د. عجيل النشمي، ص: 32.

(7)

ولا بزفرة واحدة!

روى الحافظ أبو بكر البزاز في مسنده - بإسناده - عن بريدة عن أبيه أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها، فسأل النبي ﷺ: هل أدّيت حقها؟ قال: «**لا... ولا بزفرة واحدة**».

هكذا ولا بزفرة.. في حمل أو وضع، وهي تحمله وهناً على وهن. وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم، وفي وصايا رسول الله ﷺ - ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً - ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه.

ووصينا الإنسان بوالديه حسناً

فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشىء لضمان امتداد الحياة، كما يريدها الله، وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال، في غير تأفف ولا شكوى، بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيل بتوصية الوالدين دون وصاة! فأما الوليد فهو في حاجة إلى التوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولّي الذاهب في أدبار الحياة، بعدما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة، وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه، ولو وقف عمره عليهما. وهذه الصورة الموحية ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[1] ترسم ظلال هذا البذل النبيل، والأم بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر، وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق[2].

---

(1) سورة لقمان، الآية: 14.

(2) في ظلال القرآن 5/ 2788.

لهذه المعاني العظيمة.. يقول رسول الله ﷺ للرجل الذي حمل أمه يطوف بها، عندما سأله: هل أدّيت حقها؟ فأجابه النبي ﷺ: «**لا، ولا بزفرة واحدة**». وكذلك أجاب ﷺ الرجل الذي سأله: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[1].

وإذا كانت الأم أولاً والوالد ثانياً والأسرة معهما تشكل الخلية الأولى في المجتمع، وبصلاحهما يصلح المجتمع، فإن رسول الله ﷺ كان حريصاً أشد الحرص على أن تكون أواصر المحبة والعطف والحنان والرحمة بين أفراد هذه الأسرة قوية ومتينة. فإذا لم يكن ثمة توادّ بين أعضائها فإن المجتمع محكوم عليه بالانهيار ولا شك. قال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[3].

فكيف أوصاه؟

- أوصاه بأن يخفض لهما جناح الذُلّ من الرحمة.
- وأن لا يسمعا منه كلمة تذمر أو تأفف.
- وأن يعلم أن العقوق هو الآفة التي تنخر في المجتمع وتقوض أواصره.
- وأن يعلم أن عقوقه لوالديه.. سيعطي أبناءه الفرصة أن يعُقّوه.. فقد رأوا النموذج أمامهم..

---

(1) رواه الشيخان.
(2) سورة الإسراء، الآيتان: 23، 24.
(3) سورة العنكبوت، الآية: 8.

وهكذا في حلقات متواصلة لا تنتهي إلا بتقويض بناء المجتمع.

الأسرة في ديار الغرب

الأمم التي تزعم أنها متحضرة.. التي ينفصل فيها الابن أو الفتاة عن الأم والأب عند بلوغهما الثامنة عشرة من أعمارهم أو أقل.. ويأخذ كل طرف طريقه.. تفتش الأم عن ابنتها أو ابنها فلا تجده.. ولا تسمح ظروف الابن أو الفتاة أن يلقيا نظرة وداع على الأم.. إنها شقوة الإنسان.. ومصرع الحضارة.. أما في ظل حضارة الإسلام فالكل في إطار حياة اجتماعية رائعة، قال النبي ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[1].

في العمل الإسلامي.. يحرص بعض الشباب على الاندفاع في نشاطهم بين المسجد والمدرسة والحلقة.. ويعامل في هذا الإطار أبويه معاملة جافة، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.. كلا لم يحسن صنعاً.. **وكل عمل يقوم به الفتى أو الفتاة ينبغي أن ينبع من مرضاة الأب والأم.. وإلا فهو ادعاء ومراء لا خير فيه.**

(8)

كل مصيبة بعدك جلل

أخرج ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ يوم أحد. فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا:

◄ خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت:

(1) متفق عليه.

كل مصيبة بعدك جلل[1].

في غزوة أحد، انتصر المشركون على المسلمين، وكثر بينهم القتلى.. وصرخ صارخ بأن محمداً قد مات.. فارتج أهل المدينة، وتعالى صراخهم..

واللوحة التي أمامنا اليوم هي مشهد من مشاهد ذلك اليوم العصيب في حياة المسلمين، مشهد امرأة يخبرها المسلمون بأن زوجها وأخاها وأباها وهم كل ما لديها في هذه الدنيا قد استشهدوا..

وتقول لهم: ليس عن هذا أسأل.. بل ما فعل رسول الله..؟ فلما أخبروها أنه بخير.. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.. فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله.

ماذا فعل هذا الدين بأولئك النسوة؟

لمن تركن النواح، وشق الصدور، وشد الشعور؟

كيف نسين في غمرة الإيمان والشعور بالمسؤولية الأخ والأب والزوج.. وكل نظرهن منصرف إلى سلامة القائد، ففي سلامته انتصار للدعوة..؟

كيف فعل هذا الدين بأختهن الخنساء التي جالت جزيرة العرب تصرخ في كل ركن من أركانها برثاء أخيها صخر.. فطلوع الشمس يذكرها بصخر، وتذكره لكل غروب شمس، وهي ذاتها، الخنساء الشاعرة المرهفة الحس، التي قالت عند استشهاد أبنائها الأربعة في موقعة القادسية: الحمد لله الذي شرفني بمقتلهم..

سبحان الله! كيف تغيرت الأحوال.. وتطاولت الآمال.. حتى تحولت المرأة المسلمة من مجرد إنسان يتشاءم المجتمع بمولده.. إلى رائدات كفاح وعماد نهضة.. همها الدعوة، ورائدها النبي، كل ما يعنيها هو انتصار الإسلام وسلامة الرسول ﷺ..

وإذا كانت محبة الرسول ﷺ من علامات الإيمان.. فإن طاعته هي الدليل العملي لهذا الحب.

---

(1) البداية 4/ 47.

أخي المسلم.. وأختي المسلمة.. هذه هي مواصفات الجيل الرباني الذي تخرج على يد النبي المربي ﷺ.. فانتصَر.

وهكذا فليفعل مربو هذه الأيام.. إذا أرادوا تكرار التجربة.

(9)

دعوها فإنها منتنة

في غزوة بني المصطلق (شعبان 4هـ)، وبعد النصر الذي أحرزه الجيش الإسلامي بقيادة النبي ﷺ، حدثت فتنة خطيرة داخل الجيش الإسلامي. وذلك أن رجلاً من غفار حليف للمهاجرين اسمه جهجاه، وسنان بن وبر الجهني حليف الخزرج تخاصما على الماء، فصرخ الغفاري: يا لكنانة، وصرخ الجهني: يا للأنصار، واستجاب للنداء جمع من هؤلاء وهؤلاء، وشهر كل فريق سلاحه في وجه أخيه..

وخرج إليهم رسول الله ﷺ وقال:

«ما بال دعوى الجاهلية؟!

دعوها فإنها منتنة،

من دعا دعوى الجاهلية كان من محشي جهنم»،

قيل: يا رسول الله.. وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم؟

قال: **«وإن صام وإن صلى وزعم أنه مسلم»**[1].

الروابط والوشائج

هكذا تحدث الفتن في الصف الإسلامي، بالتخلي عن أخوة الإسلام واللجوء إلى أخوة القبلية الجاهلية.

---

(1) كتب السيرة.

وعبر التاريخ.. وفي كل مكان.. حيث تمسك المسلمون بأخوتهم.. انتصروا..

وفي كل ظرف عادوا فيه إلى جاهليتهم وقبليتهم انتكسوا، ليس في الدنيا فقط.. وإنما في الآخرة أيضاً.

جاء الإسلام إلى هذه البشرية بتصور جديد لحقيقة الروابط والوشائج، يوم جاءها بتصوير جديد لحقيقة القيم والاعتبارات، ولحقيقة الجهة التي تُتلقى منها هذه القيم وهذه الاعتبارات.

جاء الإسلام ليردّ الإنسان إلى ربه، وليجعل هذه السلطة هي السلطة الوحيدة التي يتلقى منها موازينه وقيمه، كما تلقى منها وجوده وحياته، والتي يرجع إليها بروابطه ووشائجه، كما أنه من إرادتها صدر وإليها يعود.

جاء ليقرر أن هناك وشيجة واحدة تربط الناس في الله فإذا انبتّت هذه الوشيجة فلا صلة ولا مودة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1].

وحين انبتّت وشيجة القرابة بين محمد ﷺ وبين عمه أبي لهب، وابن عمه عمرو بن هشام، وحين قاتل المهاجرون أهلهم وأقاربهم.. حينئذ اتصلت وشيجة العقيدة بين المهاجرين والأنصار، فإذا هم أهل وإخوة، واتصلت الوشيجة بين المسلمين العرب وإخوانهم: صهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وتوارت عصبية القبيلة، وعصبية الجنس، وعصبية الأرض[2].. وقال لهم رسول الله ﷺ: **«دعوها فإنها منتنة»**.. وقال لهم: **«ليس منا من دعا إلى عصبية»**.

هكذا علمنا القائد القدوة..

وعلى أبناء الدعوة الإسلامية أن يستوعبوا الدرس.. وأن يستروحوا أرج الآفاق العليا.. بعيداً عن نتن اللحم والدم، ولوثة الطين والأرض.

---

(1) سورة المجادلة، الآية: 22.

(2) معالم في الطريق - سيد قطب، ص: 136.

(10)

ليخرجن الأعز منها الأذل

في غزوة بني المصطلق تخاصم رجل من المهاجرين مع رجل من الأنصار.. وصاح كل منهما يستنجد بقبيلته، وكادت تحدث فتنة.. فخرج إليهم رسول الله ﷺ.. وقال: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم**».. وانتهت الفتنة وانصاع الجميع لتوجيهات النبي ﷺ. فغاظ ذلك رأس النفاق عبد الله بن أُبيّ فقال: أوَقَدْ فعلوها؟ (يعني المهاجرين) ما رأيت كاليوم مذلة قط.. قد نافرونا وكاثرنا في بلادنا.. والله ما أعدّنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول: (سمن كلبك يأكلك) أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ. هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير دياركم. ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلتم دونه (أي النبي ﷺ) فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد[1]..

وغضب رسول الله ﷺ لهذا الخبر غضباً شديداً وتغيّر وجهه. وكان عبد الله ابن أُبيّ سيداً في قومه الخزرج، وما كانت عداوته للنبي وبغضه للمسلمين لتخفى على النبي ﷺ ولكنه لم يشأ التوسع في الموضوع، بل حاول إسدال الستار عليه خوف الفتنة.

وعندما طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أن يسمح له بضرب عنق رأس النفاق.. رفض النبي هذا الطلب وقال: «**فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟**».

وأمر رسول الله ﷺ بأن يتحرك الجيش بسرعة في اتجاه المدينة، وكان يقصد

---

(1) كتب السيرة.

بذلك أن يتعب الناس فلا يجدوا مجالاً للحديث عن الموضوع الخطير الذي أثاره رأس النفاق عبد الله بن أُبيّ.

قال ابن إسحٰق: وجاء النبي ﷺ أسيدُ بن حضير (وهو من سادات الخزرج) وقال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها، فقال له ﷺ: «**أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟**» قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أُبيّ، قال: وما قال؟ قال: «**زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**»، قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً.

ولم يشأ النبي ﷺ أن يجري أي تحقيق فيما نسب إلى رأس النفاق من قول خطير، أو يتخذ أي إجراء ضده.

زعيم النفاق مع وجوه الخزرج

وسمع وجوه الخزرج بالأمر. فجاءوا إليه وقالوا له: يا أبا الحباب، إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي فليستغفر لك، ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك، وإن كنت لم تقله فائت رسول الله ﷺ فاعتذر له. فحلف لقومه بالله العظيم أنه ما قال من ذلك شيئاً، ثم جاء النبي وحلف له بالله أنه لم يقل شيئاً مما نقل عنه.

عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول

وعلم عبد الله مقالة أبيه فجاء إلى النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله إنه قد بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني أن أحمل لك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي بين الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ لهذا الشاب المؤمن: «**ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا**».

حتى يأذن لك رسول الله

وعندما عاد الجيش وقف عبد الله عند مضيق المدينة وقال لأبيه: قف فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، فلما جاء رسول الله ﷺ استأذنه في الدخول فأذن له.

إن في موقف عبد الله بن أُبيّ ابن سلول رأس النفاق لعبرة..

وفي حكمة النبي ﷺ في معالجة الأمر لحكمة بالغة..

وفي موقف عبد الله (الابن) وهو يمنع أباه الدخول حتى يأذن له رسول الله لمثل للشباب المؤمن يفوق الوصف..

كل ذلك مما تتعرض له المجتمعات.. ولا يخرجها من مثل هذه الفتن إلا المؤمنون الأقوياء أمثال أسيد بن حضير وعبد الله بن عبد الله بن أُبيّ.. اللذان نهلا من مدرسة النبوة.. ومن أمثالهما فليتعلم الدعاة المؤمنون..

(11)

عظمة القيادة في غزوة بدر

قضى رسول الله ﷺ فترة حياته المباركة في مكة المكرمة من بعثته إلى يوم هجرته في جهاد مستمر لوضع الأسس السليمة لعقيدة التوحيد.

وفي هذه الفترة لاقى المسلمون أذى كثيراً: طوردوا وعذبوا، وأخرجوا من ديارهم، وصودرت أموالهم بغير حق، إلا أن يقولوا ربنا الله. وهاجر المسلمون إلى المدينة بأنفسهم، تاركين وراءهم ذويهم الأقربين تحت رحمة أعدائهم في خطر داهم مقيم. وأذن الله ﷻ للمؤمنين أن يأخذوا حقهم ممن سلبهم هذه الحقوق، وأن يسترجعوا أموالهم ممن نهبها، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1].

(1) سورة الحج، الآية: 39.

وفي بدر.. دارت رحى معركة طاحنة بين الفئتين:

الفئة المؤمنة تدافع عن دينها وحقوقها..

والفئة الكافرة الباغية التي اعتدت على الآخرين وسلبتهم ما يملكون.. وفي هذه الغزوة المباركة.. دروس في القيادة والتربية.. أعطاها الله لجنده الحاضرين وللمسلمين أجمعين.. لتكون أنموذجاً رائعاً يأخذ به القادة في كل عصر وحين.

◄ كان المسلمون يوم بدر كل ثلاثة يعتقبون على بعير.. وكان رسول الله ﷺ ومرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يعتقبون بعيراً، فطلب علي ومرثد من النبي ﷺ أن يتنازلا له عن حصتهما في ركوب البعير، وقالا له: نحن نمشي عنك فقال النبي ﷺ: «**ما أنتما بأقوى على المشي مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما**».

وهكذا القائد:

1 - قوي في موطن القوة، مثل أعلى لجنده في الصبر والتحمل والقتال والجرأة.. يصف علي رضي الله عنه رسول الله ﷺ فيقول: كنا إذا اشتد القتال وحمي وطيس المعركة نلوذ برسول الله ﷺ. كان من أشد الناس بأساً، وما كان أحد منا أقرب إلى العدو منه.

فلا يفت في عضد الجيش أمر أكثر من ضعف القائد وتهالكه..

2 - والقائد لا يميز نفسه عن جنده.. فليست القيادة رتبة لها ميزات.. وإنما مسؤولية تتطلب من القائد مزيداً من التضحية.. حتى يقتنع الجنود بتفوقه.

◄ وفي بدر، وقبل نشوب المعركة، جمع رسول الله أركان مجلسه العسكري ليشاورهم في الأمر، **فهذه أول معركة** حربية كبيرة مع قريش، وعلى نتائجها ستترتب نتائج هامة في مستقبل الدعوة. والمعركة كانت أساساً **تطلب العير** وما تحمله، والتي هي حق للمهاجرين الذين صادر القرشيون أموالهم، وتحولت المعركة الآن إلى قتال بين الفريقين.

والأنصار الذين هم أغلبية الجيش.. بايعوا النبي ﷺ في العقبة على أن

ينصروه ويمنعوه (ما دام في ديارهم) مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم. ورسول الله اليوم في بدر خارج الديار.. فماذا سيكون موقفهم؟

ولتبيان هذه الأمور.. جمع رسول الله ﷺ أركان مجلسه العسكري ليشاورهم في الأمر.

شاورهم قبل المعركة

فأعلن المهاجرون على لسان المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.. فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (أقصى مكان في الأرض) لجالدنا معك.

كان ﷺ يحب أن يسمع رأي الأنصار.. فنهض سعد بن معاذ (سيد الأنصار) وصاحب لواء كتيبتهم وقال: لكأنك تعنينا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**نعم**».

فأعلن سعد رضي الله عنه: يا رسول الله قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد. ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله.

وبعد هذه المشورة واطمئنانه لسلامة الموقف.. أمر رسول الله ﷺ الجيش بالتحرك.

واستمع إلى مشورتهم في ميدان المعركة

فقد نزل رسول الله ﷺ بالجيش بماء من مياه بدر، فجاءه الحباب بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو الرأي والحرب والمكيدة**». فقال الحباب: انهض بالناس

حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال ﷺ: «**لقد أشرت بالرأي..**» ونفذ رسول الله توصية الحباب.

وشاورهم بعد نهاية المعركة

فقد عقد مجلساً استشارياً شهده كبار الصحابة لبحث موضوع الأسرى وتقرير مصيرهم.. واختلف أعضاء هذا المجلس في الأمر.. ففريق يرى قتلهم والتخلص من رؤوس الشرك، وفريق منهم كان يرى الرأفة بهم والتأني بشأنهم. وكان القرار: قبول الفدية.

وهكذا أصّلت القيادة الإسلامية مبدأ الشورى في الأمر كله.. في القضايا الخاصة.. في داخل الأسرة.. وفي قضايا المجتمع.. وفي الحرب.. وفي السلم.. وفي السياسة.. وفي جميع الأمر كله.. يشاور القائد أهل الشورى.. ويأخذ برأي الأغلبية منهم.

◄ **ومع بدء القتال** خرج ثلاثة من رجالات المشركين وقادتهم وهم: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وكلهم من أبناء عبد مناف، ودعوا المسلمين إلى المبارزة.. فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين، في الأنصار، وأحب أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بني هاشم! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاؤوكم بباطلهم ليطفئوا نور الله**».

وأمر رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وعلي بن أبي طالب أن يخرجوا لملاقاة صناديد الكفر.

وهكذا القيادة، تضحي بنفسها وبأقرب الناس لها، لا تدخر الأقارب للمناصب، بل تزج بهم في ميدان التضحية والوفاء لدين الله. وبذلك تكون القيادة قدوة للآخرين ضربت بنفسها وبأقرب الناس لها المثل الكريم بالتضحية والفداء.

◄ **وبعد النصر** المؤزر الذي أحرزه الجيش الإسلامي على جيش مكة.. وفي

الروحاء (قرب المدينة) جاءت وفود المسلمين من أهل المدينة يهنئون رسول الله بما فتح الله عليه، فقال لهم سلمة بن سلامة: ما الذي تهنئوننا به؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا ابن أخي أولئك الملأ**».

وهكذا القيادة.. تقدر النصر وتوظفه لمصلحة الدعوة.. وتكرم الخصم ولا تستهين به.

والنفوس العالية وحدها هي التي تمنعها أخلاقها من النيل من عدوها.. فلا شماتة ولا حقد.. ولا تقليل من أهمية الآخرين.

◄ وفي بدر قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**من لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهاً..**» وكان النهي عن قتل أبي البختري لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه ولا يبلغ عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض صحيفة مقاطعة بني هاشم وبني المطلب.

وهكذا القيادة المسلمة...

لا تنسى الفضل، وتقدر المعروف، وتكافىء أهل المكرمات.. والنبي ﷺ: إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق.

(12)

التمرد بين النفاق وحب الدنيا

كان هدف المشركين في غزوة أحد هو الأخذ بثاراتهم من المسلمين، وكان هدف المسلمين هو الدفاع عن عقيدتهم، وعن استقلال دولتهم، وحماية المسلمين المهاجرين والأنصار من عدوهم.

وسنحاول من خلال دراستنا لهذه الغزوة تلمس الدروس والعبر.. التي برزت من خلال قيادة النبي ﷺ لهذه الغزوة.

◄ كعادته ﷺ فقد بدأ الغزوة بالدعوة إلى انعقاد مجلس الشورى.. ودار النقاش بصورة رئيسة حول المكان الذي يجب أن يلقى فيه المسلمون عدوهم.

كان رأي النبي أن يتحصن المسلمون بالمدينة، لإجبار قريش على مهاجمتها، وكان يهدف إلى تمكين المسلمين من إيقاع الخسائر الجسيمة بالمشركين، دون أن يتحمل المسلمون خسائر تذكر، وكان (عبد الله بن أُبيّ) يرى هذا الرأي كذلك. ولكن كثيراً من الشباب كانوا متحمسين للخروج ومقاتلة المشركين خارج المدينة.. قالوا: يا رسول الله: كنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله، فقد ساقه إلينا وقرب المسير. وكان على رأس هؤلاء الشباب المتحمسين للخروج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.. ومالت كثرة إلى هذا الرأي.. واتضح للرسول ﷺ على أثر هذه المناقشات أن الأغلبية ترى خلاف رأيه.. فلم يسعه إلا الاستجابة لرأيهم.. وبعد انفضاض المجلس.. خرج الرسول ﷺ على قومه بكامل عدته.. وكان الشباب قد ندموا على تسرعهم، وظنوا أنهم استكرهوا الرسول ﷺ، فبلغوه استعدادهم للتنازل عن رأيهم.

وهنا كان الدرس.. قال النبي: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته (كامل سلاحه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه».

فقرار الشورى اتخذته الأغلبية.. ولو كان خلاف رأي القائد. والرأي والرأي الآخر يكونان قبل اتخاذ القرار.. أما إذا اتخذ القرار فلا مجال للتردد أو الضعف أو التراجع.. فإن فساد الرأي أن تترددا.

◄ وفي الطريق إلى ميدان المعركة تمرد عبد الله بن أُبيّ، وانسحب راجعاً إلى المدينة بثلاثمائة مقاتل.. وبرر فعلته فقال: لقد عصاني وأطاع الولدان، ومن لا رأي له، سيعلم، ما ندري علام نقتل أنفسنا، ارجعوا أيها الناس، فرجع معه أهل النفاق جميعاً.

كان بإمكانه أن لا يخرج مع الجيش لو كان هذا هو السبب. ولكنه أراد أن يفت في عضد الجيش على مرأى ومسمع من عدوهم.. والتمرد على القيادة المسلمة خلل في كل الظروف.. فالرأي والرأي الآخر شيء والتمرد شيء آخر.

الدافع لتمرد ابن سلول هو النفاق.. والدافع لكل تمرد هو انحراف في الفهم يقرب من النفاق.. فإعجاب الإنسان برأيه.. ورغبته في إبراز نفسه، هو نوع من هذا النفاق.

والقرآن الكريم يطمئن نبيه فيقول: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[1].

فكيف تصرف القائد مع هذا الانحراف؟

فريق كان يرى تأديب هؤلاء والقضاء عليهم..

ورأي النبي ﷺ كان ترك هؤلاء.. ومعالجة أمرهم فيما بعد.

وبعد انقضاء المعركة.. التي سجلت نصراً للمشركين.. خشي النبي أن يعود أبو سفيان لاحتلال المدينة.. فخرج مع جيشه يتعقبه إلى حمراء الأسد.. ولقد أدرك ابن سلول أن هذه الحركة العسكرية تعيد للمسلمين مكانتهم العسكرية.. وأحب أن لا يفوته ذلك.. فطلب من النبي ﷺ أن يلتحق مع أنصاره بالجيش.. وكان الرد حاسماً: لا يشترك معنا.. إلا المقاتلون.

التمرّد الأوّل

رابط المشركون في وادي قناة.. ورابط المسلمون في فم الشعب من أحد، مستقبلين المدينة، وجاعلين ظهرهم إلى هضاب أحد. واختار النبي ﷺ خمسين من رماة النبل وأوكل إليهم مهمة المرابطة في جبل الرماة (جبل صغير يشرف على جيش المشركين). وظيفة هؤلاء حماية الجيش الإسلامي من خطر الالتفاف أو ضرب المسلمين من الخلف.

وأوصى الرماة فقال: «**احموا لنا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا، وارشقوهم بالنبل. فإن الخيل لا تقدم على النبل، إنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم.**

إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم، حتى أرسل إليكم، وإن

(1) سورة التوبة، الآية: 47.

رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا»[1].

ولقد أثمرت هذه الخطة المحكمة نصراً وفوزاً للمسلمين.. وحدث الذي كان يخشاه رسول الله.. فما إن مالت الكفة لصالح المسلمين، وبدأ صناديد الإسلام يطاردون القرشيين.. حتى ظن الرماة أن المعركة قد انتهت فمالوا مع الجيش لجمع الغنائم..

إنه التمرد على أوامر القيادة الواضحة الصريحة التي لا تحتمل التأويل ولا التفسير.

ومع هذا التمرد اختل ميزان المعركة.. فقتل عدد من أبطال المسلمين.. وكان تركيز المهاجمين القرشيين على النبي يحاولون قتله.. ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[2]. كل ذلك بسبب التمرد..

كان التمرد الأول بقيادة عبد الله بن أبيّ ابن سلول تمرداً سببه النفاق.. وكان التمرد الثاني بقيادة الرماة تمرداً سببه الجهل والعصيان وحب الدنيا وعدم إطاعة أوامر القيادة الواضحة.. وبين التمرد الأول والتمرد الثاني ضاعت المعركة وتعرض المسلمون لأسوأ نكسة في تاريخهم الحربي مع قريش.

درس عظيم في التربية.. أكده المربي الأول محمد ﷺ.. بأن التمرد شيء والرأي الآخر شيء آخر.. والتمرد قد يكون من أسبابه النفاق.. وقد يكون من أسبابه الجهل والعصيان وحب الدنيا.. وفي كلتا الحالتين يخسر المسلمون معركتهم.

فهل ينتبه الدعاة إلى الله إلى خطورة التمرد؟.

---

(1) السيرة الحلبية 2/ 18.

(2) سورة آل عمران، الآية: 151.

(13)

الثوابت لا تتغير بالأمور الطارئة

كان لمأساة غزوة أحد أثر سيىء على سمعة المسلمين العسكرية، فقد ذهبت ريحهم، وزالت هيبتهم من نفوس عدوهم، وأحاطت بهم الأخطار من كل جانب.

فلم يمض على معركة أحد شهران حتى تهيأت **بنو أسد** للإغارة على المدينة، ثم قامت قبائل **عضل وقارة** (في شهر صفر سنة 4 هـ) بمكيدة، فقد ذكروا أن فيهم إسلاماً وسألوا النبي أن يبعث معهم من يعلم قومهم الإسلام، فبعث معهم النبي ﷺ عشرة رجال وأمّر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه.. فغدروا بهم عند ماء يقال له **الرجيع**. وفي نفس الشهر (صفر 4 هـ) وقعت مأساة أخرى أشد وأفظع، وهي التي تعرف بمذبحة **بئر معونة**.. فقد طلب أبو براء عامر بن مالك (ملاعب الأسنة) أن يبعث رسول الله ﷺ أصحابه معه إلى نجد يدعون أهلها إلى الإسلام. فبعث رسول الله معه سبعين صحابياً من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم.. فغدروا بهم وقتلوهم جميعاً عند موقع يقال له بئر معونة.

لقد تألم النبي ﷺ والمسلمون لهذه الفواجع تتوالى عليهم الواحدة بعد الأخرى.. والتي ختمها يهود بني النضير بمحاولتهم قتل النبي ﷺ، معتقدين أن تنفيذ هذه الجريمة سيضع حداً نهائياً للدعوة الإسلامية ويخرس صوتها إلى الأبد..

وهكذا تتوالى المحن على الصف المسلم.. وكأنما أراد رب العزة أن يقول لهم أن **الإيمان** ليس مجرد كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[1].

(1) سورة العنكبوت، الآيتان: 2 - 3.

فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصةً قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب.

إن الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية في ميزان الله سبحانه ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة، وهي أمانة ثقيلة، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على البلاء..

إن الابتلاءات المتكررة والفتن المتنوعة التي أصابت الصف المسلم في غزوة أحد وما أصابهم قبله وبعده.. هي الإعداد الحقيقي لهذا الصف لتحمل الأمانة.

والنفس تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع. وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل. وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات. فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً، وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله، وهؤلاء هم الذين يسلّمون الراية في النهاية[1].

هذا الدرس الذي تعرض له الصف المسلم بعد غزوة أحد، هو الدرس الذي ينبغي أن يفهمه كل صف مسلم.. في كل مكان.. وفي كل زمان.. أن الفتنة على الإيمان أصل ثابت وسنة جارية.. ولكل زمان طغاته.. ولكل طاغية فتنته.

(1) في ظلال القرآن - سيد قطب 5/ 2721.

◄ وهناك درس آخر.. هو أن الأمور الطارئة لا تغير من ثوابت الدعوة.. فالنكسة العسكرية في أحد.. لم تمنع النبي ﷺ أن يرسل عدداً من الدعاة إلى قبائل عضل وقارة يعلمونهم الإسلام، فغدروا بهم عند ماء الرجيع، ولم يمنع ذلك النبي ﷺ أن يرسل مزيداً من الدعاة إلى أهل نجد يعلمونهم الإسلام فغدروا بهم عند بئر معونة.. فالثوابت لا تتغير بالأمور الطارئة.

(14)

قصة الرهط الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ. فلما أخبروا كأنهم تقالوها. وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!.

قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً.

وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر.

وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له. لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[1].

دروس من القصة

هذه قصة رهط جاءوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون عن عبادته.. فلما أخبروا كأنهم تقالوها.. ثم استدركوا الأمر فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غُفر له؟ ومثل هؤلاء كثيرون في المجتمع الإسلامي.. يغفلون أن الإسلام دين واقعي في مبادئه وأخلاقياته وفي منهاجه التربوي، وأن الإنسان بشر يخطىء ويصيب،

(1) متفق عليه.

ويتدنى ويرتفع، ويزيد إيمانه وينقص، وبشريته تمنعه أن يكون كالملائكة الذين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

المنهج الإسلامي في التربية منهج واقعي يتعامل مع الكائن البشري بواقعه الذي هو عليه، يعرف حدود طاقته، ويعرف مطالبه وضروراته ويقدر هذه وتلك، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[3].

يعرف ضعفه إزاء المغريات، وضعفه إزاء التكاليف، يعرف ذلك فيساير فطرته في واقعها، ولا يفرض عليه من التكاليف ما ينوء به كاهله.. ويجعل التكليف الملزم في حدود الطاقة الممكنة.. ولكنه مع ذلك لا يتركه لفطرته الضعيفة دون تقويم.

الإسلام - وهو يجاري الفطرة بما فيها من ضعف وطاقة محدودة - لا يغفل عن تلك الطاقة المكنونة التي تحقق المثال.. إنه يسير في نهجه على واقعية تشمل المثال في أطوائها.. ومثالية لا تغفل واقع الحياة[4].

وظيفة المربي أن يصحح هذه النظرات الخاطئة عندما تظهر في سلوك أو أقوال البعض.. ولهذا فقد قال النبي لهؤلاء الرهط: «**أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

علمهم المربي العظيم ﷺ: أن الوسط العدل، وأخبرهم أن التشدد في غير موضعه هلاك فقال: «**هلك المتنطعون**»[5]. و «**إن الدين يسر ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه**»[6].

---

(1) سورة التحريم، الآية: 6.
(2) سورة البقرة، الآية: 286.
(3) سورة التغابن، الآية: 16.
(4) منهج التربية الإسلامية - محمد قطب 1/ 33.
(5) مسلم.
(6) البخاري.

لقد أمر رسول الله ﷺ زينب أم المؤمنين رضي الله عنها وقد رآها مدت حبلاً في المسجد تستند إليه إذا فترت. فقال: «**حلّوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**»[1].

هذا هو المنهج الوسط الذي قرره النبي ﷺ: «**وهو يربي أصحابه.. وما على الخلف إلا الاقتداء**».

(15)

أدب المسلم مع قيادته

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾[2].

◄ **إنه أدب نفسي** مع الله ورسوله. وهو منهج في التلقي والتنفيذ. وهو أصل من أصول التشريع والعمل في الوقت ذاته.. وهو منبثق من تقوى الله، وراجع إليها. في الحديث عن معاذ رضي الله عنه، حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: بمَ تحكم؟ قال: بكتاب الله تعالى. قال ﷺ: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال ﷺ: فإن لم تجد؟ قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي. فضرب في صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله**»[3].

---

(1) متفق عليه.

(2) سورة الحجرات، الآيات: 1 - 5.

(3) أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

ويسأل رسول الله ﷺ أصحابه في حجة الوداع، فيقول: «**أي شهر هذا؟**».

قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: «**أليس ذي الحجة؟**» قلنا: بلى!

قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: «**أليس البلد الحرام؟**» قلنا: بلى!.

قال: «**فأي يوم هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. فقال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا: بلى!

إنها صورة من الأدب، ومن التحرج، ومن التقوى، التي انتهى إليها المسلمون بعد سماعهم ذلك النداء، وذلك التوجيه، وتلك الإشارة إلى التقوى، تقوى الله السميع العليم.

والأدب الثاني هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب، وتوقيرهم له في قلوبهم، توقيراً ينعكس على نبراتهم وأصواتهم، ويميز شخص رسول الله بينهم، ويميز مجلسه فيهم، والله يدعوهم إليه، ويحذرهم من مخالفة ذلك التحذير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.

في الحديث الذي رواه البخاري قال: كاد الخيران أن يهلكا.. أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.. رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم.. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي. قال عمر: ما أردت خلافك.. فارتفعت أصواتهما، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾... حذرهم أن تحبط أعمالهم..

فارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء، وذلك التحذير، فتأدبوا في حضرة رسول الله ﷺ خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون.

◄ لقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع، وتجاوزوا به شخص الرسول إلى كل أستاذ وعالم ومسؤول..

كان **النداء الأول** لتقرير جهة القيادة ومصدر التلقي.

وكان النداء الثاني لتقرير ما ينبغي من أدب للقيادة وتوقير.

وكان هذا وذلك هو الأساس لكافة التوجيهات والتشريعات.

فلا بد من وضوح المصدر الذي يتلقى منه المؤمنون، ومن تقرير مكان القيادة وتوقيرها، لتصبح للتوجيهات بعد ذلك قيمتها ووزنها وطاعتها[1].

هذا هو النداء الرباني لتحديد القيادة المسلمة.. وأدب التعامل معها.. فلا عمل بلا قيادة.. ولا قيادة بغير طاعة.. ولا طاعة إلا بالمعروف.

هذه هي تعاليم الإسلام..

وعلى الدعاة أن يلتزموها.

(16)

جنسية المسلم عقيدته

«**المسلمون أمة واحدة**» قالها نبي الإسلام في النص الدستوري الذي قرره يوم استقر في المدينة المنورة. فقد جاء في المعاهدة التي نظمت أمور الناس، المسلمين واليهود والمشركين: «**إن المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة**».

فإذا كان اليوم هو ميلاد الدولة الإسلامية.. فهو أيضاً اليوم الذي يتقرر فيه دستورياً: «إن المسلمين أمة واحدة فيما بينهم.. وهم يد على من سواهم».

كان هذا أمراً واضحاً في حسّ المؤمن، وعليه استقرت مشاعره، وبه نطقت تصرفاته وأفعاله.. وإذا ندّ أحد عن هذا الأصل العظيم.. كان يقال له: إنك امرؤ فيك جاهلية، فيستغفر ويعود تائباً منيباً من كبوته.

---

(1) في ظلال القرآن - سيد قطب، ص: 3340.

أسرى بدر

عندما انتصر المسلمون في بدر.. ونالوا من عدوهم فقتلوا وأسروا.. شاور رسول الله ﷺ أصحابه في الأسرى.. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين[1].

لم تعد في قلوبهم هوادة للمشركين حتى وإن كانوا إخوانهم، أبناء آبائهم وأمهاتهم، **فأخوة العقيدة قبل أخوة الدم.**

أم المؤمنين أم حبيبة

ولم يكن ذلك ديدن المؤمنين وسلوكهم فحسب.. بل وكان ديدن المؤمنات أيضاً فهن رفاق في دروب الدعوة.. وإليك الوقائع:

◄ أخرج ابن سعد عن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان ابن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ، وهو يريد غزوة مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يُقبل عليه رسول الله ﷺ، فقام فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها. فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته عنه، فقال: أي بنية أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟

قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس.

مفاصلة كاملة

بين الأبوة والبنوة من جهة، وبين الإيمان والشرك من جهة أخرى. فلا تساهل أو تهاون، ولا راية تعلو فوق راية الإيمان..

وأخرج أحمد والبزار عن عبد الله بن الزبير عليه السلام قال: قدمت قتيلة بنت عبد العزى بن عبد بن سعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

---

(1) الرحيق المختوم - المباركفوري، ص: 208.

بهدايا، ضباب (جمع ضب) وقرص وسمن، وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي ﷺ، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]. فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها.

هكذا فهمت أسماء، خريجة مدرسة النبوة، الإسلام على أنه مفاصلة كاملة مع الشرك.

فهي وإن كانت أمها ولها حقوق عليها، ولكنها مشركة، فلا تستطيع أن تدخلها بيتها حتى يأذن لها رسول الله ﷺ.

الرجال الدعاة.. والأخوات الداعيات فهموا هذه القضية فتميزوا والتزموا وأصبحوا بحق قادة دعوة، ومؤسسو دولة، ونماذج قدوة في العالمين.

جنسية المسلم

بعض المسلمين، وفيهم من يزعم أنه من الدعاة، يرفعون رايات جاهلية يصطفون تحت لوائها.. فهذا من مدينة كذا.. وذاك من البلد الفلاني.. هذا يتكلم بهذه اللغة.. وذاك يتكلم بغيرها.. هذا عربي والآخر تركي وثالث أفغاني ورابع من بلد آخر..

تحت هذه الرايات الجاهلية يتنابذ المسلمون بالألقاب.. ويتقاتلون.. وتسكب منهم الدماء باسم العصبية النتنة.. أين هؤلاء من قيم دينهم الذي يزعمون خدمته والولاء له؟

لقد حذرنا المربي الأول من هذه العصبية وقال: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة**».

وكذلك على دعاة اليوم إذا أرادوها إسلامية تحقق لهم النصر والسؤدد، أن يقتدوا ويلتزموا ويقيموا مشاعرهم على أساس أن جنسية المسلم عقيدته.

---

(1) سورة الممتحنة، الآية: 8.

(17)

القائد ودوره في الدعوة

للقائد ولا شك دور أساس في إعداد الفرد وتشكيل المجتمع.

ولقد شكلت شخصية النبي ﷺ، التي تمثلت القرآن الكريم وحولت مبادئه ومعانيه إلى تصرفات وسلوك ومعاملات وأفكار ومشاعر، القدوة الحسنة التي أشار إليها القرآن الكريم[1] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

ولو كان وجود شخصية النبي حتمياً لاستمرار الدعوة، ما جعلها الله دعوة للناس كافة، وما جعلها آخر رسالة، وما وكل إليها أمر الناس في هذه الأرض، إلى آخر الزمان[3]..

يوم أحد سرت إشاعة مفادها أن المشركين تمكنوا من قتل رسول الله ﷺ ونادى مناديهم بذلك، وتسبب ذلك بمزيد من الذعر والارتباك في صفوف المقاتلين المسلمين.

بعض المسلمين وقفوا حائرين.. ماذا يصنعون؟.

وتوقف آخرون عن القتال وألقوا بأسلحتهم..

وبينما القوم حائرون.. أقبل أنس بن النضر، وقال: ما لكم قد ألقيتم بأيديكم هكذا؟.

قالوا: قتل رسول الله.

فقال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ.

---

(1) التربية ودورها في تشكيل السلوك - مصطفى محمد الطحان.

(2) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(3) معالم في الطريق - سيد قطب، ص: 12.

ثم استقبل المشركين بسيفه واندفع نحوهم كالإعصار.

أما الصحابي الجليل ثابت بن الدحداح، فقد صاح في قومه يحرضهم على الاستبسال ويقول: يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل، فإن الله حي لا يموت، قاتلوا على دينكم.

الموقف ذاته وقفه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يوم توفي رسول الله ﷺ واضطرب المسلمون.. فقال لهم: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد رب محمد فإن الله حي باق لا يموت، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

فللقائد ولا شك دور أساس في الدعوة.. ولكن القيادة متجددة.. وإذا سقط قائد قام مكانه قائد آخر..

سئل الإمام حسن البنا رضي الله عنه عندما اشتدت المحنة حوله وحول إخوانه: إذا قتلوك فمن يأتي مكانك؟. قال الإمام البنا: انتخبوا أضعفكم وساعدوه..

هذه هي القيادة الإسلامية المتجددة.. وهذا دورها.. والقائد ليس هو النبي أو الخليفة أو الحاكم فقط.. بل كل عامل مسؤول في موقع ما هو قائد لهذا الموقع.. عليه أن يربط الآخرين بالدعوة لا بشخصه.. وبالإسلام لا بالأشخاص.. وبالله لا بأي معنى آخر.. وعندها فقط يكون قائداً صادقاً.. وتكون السفينة سائرة إلى بر الأمان.

هكذا هم المسلمون الأوائل الذين تخرجوا من مدرسة النبوة وهذا هو معنى القيادة..

وكذلك فليفهمها الخلف من بعدهم.

(1) سورة آل عمران، الآية: 144.

(18)

والصدقة برهان

المجتمع الإسلامي مجتمع متكافل يتضامن أفراده في مواجهة الحياة، ويتعاونون على حمل أعبائها، ويساند بعضهم بعضاً أمام الأزمات والخطوب.. ولقد صور سيدنا رسول الله ﷺ حالهم هذا فقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**»[1].

هو تكافل من نوع جديد لم تعرفه البشرية من قبل.. في ظله تتحدد الأحاسيس وتتضامن، وبه تتوافق المشاعر وتتساند.. وإذا بالمسلمين كالجسد الواحد، ما إن يكون أحدهم بضائقة من أي نوع كان، معنوية أو مادية.. حتى يرى إخوانه وقد استنفروا كل طاقاتهم وجهودهم لمعاونته ومشاركته ومواساته.. بل وفي كثير من الأحيان يقدمون ما لديهم وهم بأمس الحاجة إليه ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

والإيمان ليس قولاً يقال، ولا دعوى تدعى، إنما هو حقيقة يمتد شعاعها إلى العقل فيقتنع وإلى العاطفة فتجيش، وإلى الإرادة فتتحرك وتحرك[3].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[4]. هكذا فهم المسلمون الإيمان.. وهكذا طبقوه.. وكانت الداعيات المسلمات على نفس المستوى من الوعي والفهم والتطبيق.. فهذه السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، جاء مسكين

---

(1) البخاري.
(2) سورة الحشر، الآية: 9.
(3) التربية الإسلامية - يوسف القرضاوي، ص: 9.
(4) سورة الحجرات، الآية: 15.

يسألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها: «أعطيه إياه»، فقالت: «ليس لك ما تفطرين عليه»، فقالت: «أعطيه إياه»، قالت: ففعلت. فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت شاة وكفنها، فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت:

- كلي من هذا، هذا خير من قرصك[1].

والتصدق برغيف الخبز أمر هين في كثير من الأزمان.. ولكن الأمر يكون أصعب إذا كان الرغيف هو كل ما يملك الإنسان.

كانت الداعيات المسلمات وعلى رأسهن أمهات المؤمنين، يتسابقن ويتنافسن في هذا المضمار.. فالمرأة بحكم تكوينها أقدر على مثل هذه المعالجات الاجتماعية من الرجل.. فهن الأقرب إلى البيوت، والأكثر اطلاعاً على الأوضاع..

أخرج الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: «**أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً**». قالت عائشة فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلما توفيت زينب بنت جحش رضي الله عنها وكانت امرأة قصيرة، عرفنا أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة[2].

بمثل هذه الأمور كان أهل البيت النبوي يتنافسن. عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: ما رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء رضي الله عنهن[3].

وكيف لا يكن كذلك وهن بنتا أبي بكر والمتخرجات من مدرسة النبوة..!.

ولم يقتصر هذا السلوك الكريم على المسلمات الأوائل.. بل تمثلته الأخت المسلمة في كل مرة آمنت فيها بسموّ دعوتها.. فانطلقت لا تلوي على شيء، تجاهد بنفسها ومالها ووقتها، شعارها: أسرعت إليك ربي لترضى.

---

(1) مالك في الموطأ.
(2) الإصابة، 4/ 314.
(3) البخاري.

هكذا كانت مواصفات أمهات المؤمنين خريجات مدرسة النبوة.. وكذلك على الدعاة والداعيات أن يفعلوا.

(19)

اللّهم احشرني مع صاحب النقب..

يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1].

لكي يكون العمل مقبولاً عند الله تعالى، لا بد أن يتحقق فيه شرطان: الإخلاص لله تعالى، والموافقة لشرعه - سبحانه - كما بينه النبي ﷺ في سنته وسيرته الشريفة.

أما معنى الإخلاص

◄ فهو أن يقصد العبد بقوله وفعله وجهاده وجه الله وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو ذكر، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

والإخلاص سرّ بين العبد وربه كما قال الجنيد البغدادي رحمه الله فلا يعلم به نبي مرسل ولا ملك مقرب[3].. ورد في الأثر: «تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، في صحف مختمة، فيقول الله: ألقوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة يا رب: والله ما رأينا منه إلا خيراً، فيقول: إن عمله كان لغير وجهي، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي»[4].

---

(1) سورة البينة، الآية: 5.
(2) سورة الأنعام، الآية: 162.
(3) مدارج السالكين، ص: 516.
(4) أخرجه الحافظ البزار.

ومما ورد في معاني الإخلاص أيضاً هو أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى، ويتحقق ذلك بنسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق سبحانه.

والإخلاص مطلوب من المؤمن حتى لا يخزى يوم القيامة للحديث الشريف: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء! فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارىء! فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد! فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»[1].

وللإخلاص آثار في سلوك المؤمن منها:

◄ أنه إذا وجد الإخلاص فلا يباع المؤمن ولا يشترى، ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة عندما جاءت قريش تساومه على أمر دينه.. (إن كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك الأموال حتى تكون أغنانا، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك).. ويضع الرسول ﷺ كل هذا تحت قدمه ويعلن أنه لن يترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو يهلك دونه ﷺ.. إنه اختيار صعب.. كم سقط فيه من الناس؟ كم باعوا آخرتهم بدنياهم أو بدنيا غيرهم؟ يصبح المرء من دعاة الحق ويمسي من دعاة

(1) رواه مسلم.

الباطل وبوقاً له من أجل منصب زائل.. قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1]. قال مالك بن دينار رحمه الله: «هذا كان من علماء بني إسرائيل وكان مجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد، بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين يدعوه إلى الله فأقطعه وأعطاه، فتبع دين الطاغوت وترك دين موسى عليه السلام»[2].

ومن السبل المؤدية إلى الإخلاص:

المحاسبة لكل عمل، فما الباعث عليه؟ دُعي أحد السلف إلى شهود جنازة والصلاة عليها، فقال لداعيه: اصبر حتى أحضر للأمر نية! هكذا حتى يوجه بوصلة قلبه نحو مرضاة الله، لأن الأمور بمقاصدها.

والإخلاص سبب لطيب العلاقة مع الناس، فمتى أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء. يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ومن أصلح سريرته فاح عبير فضله وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه لا ينفع مع فسادها صلاح الظاهر»[3]، ولما اقترب أجله بكى بحرارة فقيل له: أحسن الظن بالله يا إمام، لقد تاب على يديك عشرات الآلاف!! فقال: كيف بك يا ابن الجوزي إذا نجا هؤلاء وهلكت؟.

ثم دعا: اللّهم إن عذبتني لا تخبرهم لئلا يقال: عذب الله من دعا إليه.. ثم قال: أخشى أن تبدو لي سيئات ما كسبت! وقرأ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾[4] وأخشى أن أكون فرطت وخلطت ونافقت فيبدو لي ما لم أكن أحتسب! وقرأ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[5].. هكذا يخشى على

(1) سورة الأعراف، الآية: 175.
(2) ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره.
(3) صيد الخاطر.
(4) سورة الزمر، الآية: 48.
(5) سورة الزمر، الآية: 47.

نفسه النفاق وهو من هو، لذا قال التابعي ابن أبي مليكه رحمه الله: أدركت ثلاثين من الصحابة كلهم يخشى على نفسه النفاق!! فماذا نقول نحن؟.. الله المستعان..
ولقد حدد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه علامات الرياء في سلوك صاحبه فقال: «للمرائي أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص منه إذا لم يثن عليه».

◄ ولقد ابتعد الصحابة - لشدة إخلاصهم - عن الشكليات والصور والعناوين، فهذا سلمان الفارسي رضي الله عنه يرسل رسالة إلى أخيه أبي الدرداء رضي الله عنه لما قال: إني نزلت الأرض المقدسة.. فأجابه سلمان: «إن الأرض لا تقدس أحداً، إنما يقدس الإنسان عمله».

ولأهمية إخلاص النوايا فقد استفتح الإمام البخاري كتابه الجامع بحديث «**إنما الأعمال بالنيات**».. وقال الإمام الشافعي: هذا الحديث يدخل في سبعين باباً في الفقه.

ومن نماذج حرص السلف على الإخلاص دعاء مطرف بن عبد الله الشخير وهو أحد تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه: (اللهم إني أستغفرك مما زعمت أني أريد به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت)، وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول: (كم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر)، فالمطلوب تجديد النية والمحافظة عليها من التغير والانحراف، قال النبي ﷺ: «**للقلب أشد تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً**»[1].

◄ **أما أبرز علامات الإخلاص**: فنكران الذات.. إن الشغل الشاغل للمخلص أن يقبل الله عمله.. وليس أن يعرف ويشتهر بين الناس، لذلك قال الإمام الشافعي وهو يشير إلى مؤلفاته والثروة العلمية التي خلفها للأمة، قال: وددت لو انتشر هذا العلم بين الناس دون أن ينسب إليّ!! سبحان الله أي تجرد هذا منه.. ولقد ذكر رب العزة في كتابه الكريم رسلاً ودعاة لم يفصح عن

(1) رواه الإمام أحمد.

أسمائهم.. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[1] من هم؟ ما أسماؤهم؟ لا نعلم.. وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[2] أين؟ ما أسماؤهم؟ لا نعلم، قال العلماء: ذلك حتى تتربى الأمة على نكران الذات، وأن العمل هو الأساس وأن الأصل توجيه الهمم للاقتداء بالأعمال لا التنقيب عن الأسماء.. ثم هي عزاء لكل مجاهد مجهول.

صاحب النقب

وفي قصة صاحب النقب أسمى بيان لهذه المعاني.. في إحدى معارك المسلمين كان المجاهدون يحاصرون إحدى قلاع الروم المحصنة، وكان الدخول إليها صعباً إلا من نقب فيها تخرج منه مجاري المدينة، وقف **مسلمة بن عبد الملك** أمير الجيش ينادي في الجند: من يدخل النقب ويزيح الصخرة التي تحبس الباب ويكبر حتى ندخل؟ فقام رجل قد غطى وجهه بثوبه وقال: أنا يا أمير الجند، قام فزحف على بطنه في فتحة المجاري ودخل النقب وفتح الباب وصاح: الله أكبر، ودخل جند الإسلام فاتحين مهللين مكبرين..

يقف مسلمة ينادي في الجند ثلاثاً: من صاحب النقب؟! من الذي فتح الباب؟ فلا يجيبه أحد فقال: أقسمت على صاحب النقب أن يأتيني في أية ساعة من ليل أو نهار.. أمر القائد لا بد أن يطاع.. ولما كان الليل طرق بابه طارق ففتحه مسلمة مستبشراً.. أنت صاحب النقب؟ قال الطارق: هو يشترط ثلاثاً حتى تراه. قال مسلمة: وما هي؟

قال:

أولاً: ألا ترفع اسمه إلى الخليفة.

ثانياً: ألا تأمر له بجائزة.

ثالثاً: ألا تنظر له بعين التمييز، قال مسلمة: أفعل إن شاء الله.. قال

(1) سورة الكهف، الآية: 13.

(2) سورة يسّ، الآية: 13.

الطارق: أنا صاحب النقب، فكان من دعاء مسلمة: (اللهم احشرني مع صاحب النقب)[1].

وهكذا لم يدخل اسم صاحب النقب إلى كتب السير، ولم تنشره وسائل الإعلام ولم يمنح وسام النيل ولا الرافدين ولا وسام الفاتح ولا درع الجزيرة! إنما بقي محفوظاً عند علام الغيوب في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة.. وهكذا إذا وجد الإخلاص فلا يلتفت العبد إلى مدح الناس أو ذمهم أو رضاهم أو غضبهم إنما شغله الشاغل رضى الحق تبارك وتعالى، ولسان حاله يقول:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

(20)

التربية حب وثقة

جاء في كتب السيرة أن المشركين في مكة ضربوا يوماً أبا بكر ضرباً شديداً، دنا منه عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكّون في موته، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ، فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟.

فقالت: والله لا علم لي بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت

(1) في المفاهيم الإسلامية والحركية، هاشم محمد، ج1.

تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت، قالت: نعم، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صحيح، فقال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً حتى آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِجل وسكن الناس، خرجتا به يتكىء عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ [1].

لا تربية بغير حب

هذه لوحة معبّرة تحمل في ثناياها الكثير من الفوائد التربوية.. التي يحتاجها الداعية في طريق الدعوة..

◄ فهذه أم جميل تتكتم عن مكان النبي ﷺ حتى تتأكد وتستوثق بنفسها من أبي بكر شخصياً.. فقد كانت مرحلة خاصة تحتاج لمثل هذه التربية وهذا الكتمان.

◄ ويشارف أبو بكر على الموت.. ومع ذلك فلا يطعم طعاماً ولا يذوق شراباً حتى يطمئن أن رسول الله بخير.. بهذا الحب الذي لا مثيل له.. الذي نشأ بين النبي وأصحابه.. تحولت التعاليم التي تنطلق من فم القائد.. إلى سلوك أصيل يتخلق به الأتباع.

وعلى الدعاة المربين.. الذين يحبون أن يقتدوا بقائدهم.. أن يؤسسوا الحب مع إخوانهم ويبنوا الثقة فيما بينهم.

وهل التربية إلا ثقة وحباً؟

هكذا فعل المعلم الأول وهو يربي أصحابه.. وهكذا فلتفعل الأجيال المسلمة وهي تقتدي بفعل المعلم الأول ﷺ.

---

(1) البداية والنهاية 3/ 30.

(21)

بين أبي قتادة وخالد بن الوليد

من الأحداث التي شغلت المسلمين أيام حروب الردة.. والتي أصبحت فيما بعد مادة خصبة لخيال القصاصين - الذين أحبوا أن ينالوا من صورة عظماء الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما: قصة سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه قائد جيش المسلمين مع مالك بن نويرة أحد أبطال الردة..

خلاصة القصة أن ضرار بن الأزور رضي الله عنه قتل مالكاً بأمر من خالد.. بعد أن أصرّ مالك على موقفه فقال: أنا آتي بالصلاة دون الزكاة، فقال له خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً، لا تُقبل واحدة دون الأخرى، فقال مالك: قد كان صاحبكم يقول ذلك، قال خالد: أو ما تراه لك صاحباً؟.

وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري رضي الله عنهما حاضرين، فكلما خالداً في أمره، فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك.

وزادت حماسة أبي قتادة لرأيه، وخالف قائده وفارق الجيش، ذاهباً إلى الخليفة شاكياً له أمر خالد في شأن مالك، وأقسم لا يقاتل تحت راية خالد أبداً، فلم يكن من الخليفة الراشد إلا أن ردّ أبا قتادة إلى جيشه جندياً تحت راية أميره وقائده خالد بن الوليد رضي الله عنه كما كان، ولم يفتح باب شكاية الجند لقوادهم والخروج عليهم حتى يحقق الأمرَ بنفسه بعد عودة القائد بجيشه. وهذه سياسة من أحكم وأحزم السياسات التي حرست الدولة الإسلامية في أول عهدها من الانقسام والفساد.

أما عبد الله بن عمر رضي الله عنه فاكتفى بأن أظهر رأيه في القضية ولم يصحب إنكاره بالخروج على الصف، هذا من فقه ابن عمر رضي الله عنه [1].

---

(1) خالد بن الوليد، صادق عرجون، ص: 160.

في هذه القضية عبرة للصف المسلم.

فحرية الرأي مطلب إنساني وحضاري، يهم الأفراد كما يهم الشعوب والجماعات، تكفله الشريعة الغراء.. كما تكفله القوانين وشرائع حقوق الإنسان.

والانتماء إلى (الجماعة)، يقتضي قدراً من التنازل عن الآراء الذاتية للفرد، ليبدو منسجماً مع رأي الجماعة ملتزماً به.

فلم ينكر الخليفة الراشد على أبي قتادة أو عبد الله بن عمر (رضوان الله عليهم أجمعين) رأيهما.. ولكنه أنكر على أبي قتادة خروجه على الصف.. وتحريضه على خالد.. وتركه الجيش.

لنفرض أن رأي أبي قتادة كان صحيحاً.. وأن القائد هو المخطىء.. وفعل كل جندي في الجيش ما فعله هذا الصحابي الجليل.. فهل يبقى معنى للجندية أو الالتزام، وهل يتقوى الجيش بمثل هذا التصرف أم ينهار؟.

في غزوة أحد انسلخ عبد الله بن أبيّ عن جيش المسلمين ورجع بثلث الجيش، وقال عن رسول الله ﷺ: أطاع الأحداث وعصاني.. ورأي عبد الله ابن أبيّ يومئذٍ، كان يوافق رأي رسول الله ﷺ الذي قصّ رؤياه على أصحابه فقال: «**ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، وإني أوّلتها المدينة..**» ولكن خروج رسول الله ﷺ والجيش معه كان ثمرة الشورى العامة.. فاستجاب لها القائد.. وأصرّ ابن أبيّ على عصيانه.

ليست القضية الرأي والرأي الآخر، فحرية ذلك مصانة، بل ضرورية (في الإطار المناسب) لإنضاج الفكرة وتمكين شجرة الشورى من اتخاذ القرار الأصوب والأسلم.. ولكن القضية هي حرية الرأي ضمن مصلحة الجماعة.. ومصلحة الجماعة قررها في حادثتنا هذه الخليفة أبو بكر رضي الله عنه.. عندما أعاد أبا قتادة جندياً تحت إمرة خالد.

هكذا كان عظماؤنا يفعلون..

وكذلك ينبغي على الذين يحبون أن يقتدوا بآثارهم.. أن يفعلوا...

(22)

الأسوة الحسنة

دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئاً على وسادة من أدم حشوها ليف، ورفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرد البصر غير أُهُبة (مفردها إهاب وتعني الجلد) ثلاثة. فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارساً والروم قد وسّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس النبي ﷺ وكان متكئاً فقال:

«أو في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قوم عُجّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا».

والسؤال: هل كان باستطاعة النبي ﷺ أن يؤثر في أصحابه، فيغذي أرواحهم برغائب الإيمان، ويزكي نفوسهم بتعاليم الحكمة والقرآن، ويربيهم تربية عميقة دقيقة، يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح، ونقاء القلب، ونظافة الخلق، والتحرر من سلطان الماديات، ومقاومة سلطان الشهوات.. لو لم يكن قدوة لهم في كل ذلك؟.

إن **القدوة** هي أرقى أنواع التربية، فالقدوة واقع حي ملموس يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

لقد كان رسول الله ﷺ أسوةً لأصحابه في كل ما كان يدعوهم إليه.. وكذلك ينبغي أن يكون المربون.. قدوة عملية لمن يربونهم.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 21.

أيظن المربون الذين يعيشون في أبراجهم، يرفلون بأثواب النعيم ويتقلبون في لذائذ الحياة، أنهم يؤثرون بالآخرين عندما يحدثونهم عن المبدإ والتضحية؟.

(23)

الفاروق يقبل رأس عبد الله بن حذافة السهمي

تناهت إلى قيصر عظيم الروم أخبار جند المسلمين، وما يتحلون به من صدق الإيمان ورسوخ العقيدة واسترخاص النفس في سبيل الله ورسوله..

فأمر رجاله، إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين، أن يبقوا عليه، وأن يأتوه به حيًّا.

وشاء الله أن يقع رسول رسول الله ﷺ إلى كسرى **عبد الله بن حذافة السهمي** رضي الله عنه أسيراً.. فحملوه إلى الملك.

ودار بين قيصر الروم.. وبين الأسير المسلم حوار بليغ عظيم..

قال ملك الروم: إني أعرض عليك أن تتنصر، فإن فعلت، خلّيت سبيلك وأكرمت مثواك..

قال الأسير: هيهات.. إن الموت لأحب إلي ألف مرة مما تدعوني إليه..

قال ملك الروم: إني لأراك رجلاً شهماً.. فإن أجبتني أشركتك في سلطاني..

قال الأسير: والله لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت.

قال: إذن أقتلك.

قال: أنت وما تريد، ثم أمر به فصلب، وقال لقناصته (بالرومية): ارموه قريباً من يديه، وهو يعرض عليه التنصر فأبى.

قال: ارموه قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى.

عند ذلك أمرهم أن ينزلوه، ثم دعا بقدر عظيمة فصُبّ فيها الزيت ورفعت

على النار حتى غلت ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين، فأمر بأحدهما أن يلقى فيها فألقي، فإذا لحمه يتفتت. وإذا عظامه تبدو عارية..

ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة السهمي ودعاه إلى النصرانية، فكان أشدّ إباء لها من قبل.

فلما يئس منه، أمر به يلقى في القدر فدمعت عيناه..

فظن أنه قد جزع فقال: ردّوه إليّ، فلما عرض عليه النصرانية فأباها.. قال له: وما أبكاك إذن؟

قال: كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفسٌ فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله..

قال القيصر: هل لك أن تقبل رأسي وأخلّي عنك؟

فقال عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً؟

قال: وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً.. قلت في نفسي: عدوّ من أعداء الله، أقبل رأسه فيخلّي عنّي وعن أسارى المسلمين جميعاً، لا ضير في ذلك عليّ.

ثم دنا منه وقبّل رأسه، فأمر ملك الروم بإطلاق سراح جميع أسارى المسلمين.

قدم عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. وقص عليه الحكاية.. قال عمر: حقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله.. وأنا أبدأ بذلك.. ثم قام وقبّل رأسه[1].

سيقول المتنطعون: كيف يفعل الصحابي ذلك فيقبل رأس ملك كافر؟ ولا شك أن عبد الله رضي الله عنه قد وعى قول النبي ﷺ: «**هلك المتنطعون**»، ففعل ما فيه مصلحة المسلمين.

هكذا ربّى محمد ﷺ أصحابه: يتمسكون بعقيدتهم.. ولا يتنازلون عنها طرفة عين مقابل مُلك العرب والعجم.. ولكنهم يقدرون المواقف وقد يتنازلون

(1) صور من حياة الصحابة د. عبد الرحمٰن الباشا 1/ 56.

عن أمور جانبية ترضي أعداء الله.. ولا تمس العقيدة.. يفعلون ذلك لمصلحة أنفسهم وبقية المسلمين. وهكذا فليفعل المربون.

(24)

عمر بن الخطاب يطالب أهله

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان عمر رضي الله عنه إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: لا أعلمنّ أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه إلا ضاعفت له العقوبة[1].

وهذه اللوحة تسجل في صحائف عمر رضي الله عنه.. الخليفة العادل.. الذي لا يحب أن يرى هو أو أحد من أهله حيث نهى الخليفة عباد الله أن يكونوا.. مصداقاً للهدي الرباني ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[2].

نعم إنها من اللوحات الخالدة في سجل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكنها في نفس الوقت يمكن أن تعتبر إحدى اللوحات التي تخص المرأة المسلمة، فعندما تكون إحداهن زوجة لواحد من هؤلاء المسؤولين عن شؤون المسلمين.. ومن ثم تدرك عظم مسؤولياتها في بيتها تجاه زوجها القائد.. وتجاه المجتمع المسلم الذي ينظر إلى القائد كقدوة.. فإذا تصرف القائد أو أهله تصرفاً ولو صغيراً في الاتجاه الخاطىء، فكم من العيون سترمقه وكم من الألسن ستلسعه، إذا فعلت المرأة ذلك انطبق عليها قولهم: وراء كل عظيم امرأة.

في عالم السياسة الميكيافيلية.. يحكم على السياسي الناجح من خلال مواقفه العامة.. بينما قد يكون من أفسد الناس في علاقاته الخاصة.. والشائع

---

(1) الكنز 2/ 141.

(2) سورة الصف، الآيتان: 2 - 3.

في عالم السياسة أنه لا علاقة بين الحالتين. أما زوجة السياسي الذي من هذا الصنف فقد جاءتها الفرصة لتسخّر الدولة وإمكاناتها لمصلحتها.. فتصبح السيدة الأولى التي تتابعها عدسات المصورين في كل تحركاتها.. وهذا من الخلل الذي لا يقره الإسلام بل يعتبره من أسس البلاء، فالوسائل والغايات ينبغي أن تكون على نفس القدر من الاعتبار والنظافة.. والإناء القذر لا ينضح إلا فساداً.. والإناء النظيف لا ينضح إلا عدلاً.. ومن هنا كانت مسؤولية المرأة المسلمة العاملة في ميدان الدعوة.. أن تقف مع زوجها.. تعينه في عمله.. وتلتزم بالأمور العامة بمنتهى الحزم والعزم.. فلا يرى الناس فيها ثغرة مهما صغرت ينالون فيها من الحاكم أو القائد.. وهكذا فالمرأة بقدر مسؤوليتها ومسؤولية زوجها تتسع الثغرة التي تقف حارسة عليها..

هذه هي تعاليم الإسلام عبّر عنها سيدنا عمر ﷺ الذي نهل من معين التربية النبوية..

وهكذا ينبغي على المربين أن يفعلوا.

(25)

بؤساً لعمر! كم قتل من أطفال المسلمين

أخرج ابن سعد وأبو عبيدة وابن عساكر عن ابن عمر ﷺ قال: قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمٰن بن عوف ﷺ: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر ﷺ بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك! ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه. فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال: ويحك! إني لأراك أم سوء، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة! قالت: يا عبد الله قد أبرمتني هذه الليلة إني أريغه عن الفطام فيأبى عليَّ، قال: ولمَ؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم، قال:

وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: ويحك! لا تعجليه! فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلما سلّم قال: يا بؤساً لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين! ثم أمر منادياً فنادى: ألا! لا تُعجلوا صبيانكم عن الفطام! فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام[1].

أبطال لوحتنا اثنان.. امرأة تحاول فطام ابنها حتى ينال عطاءه فالخليفة لا يفرض إلا للفطيم.

والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أهمه بكاء طفل من المسلمين.. وبعدما علم أن قانونه السابق الذي لم يفرض بموجبه عطاء إلا للطفل الفطيم هو سبب تعاسة هذا الطفل وأمثاله، بكى وندم وعاد عن خطئه ففرض لكل مولود.

واللوحة توضح دور القيادة الراشدة التي تسهر على مصالح الخلق، وتوضح كذلك دور المرأة الفاعل الإيجابي، الذي ناقش الخليفة في أمر الطفل فكان سبباً في تعديل القانون.

بهذه الروح تستطيع الأخت الداعية المسلمة أن تشارك في قضية الأمة: تطالب بالحقوق، وتتبنى القضايا، وتحسن الدفاع عنها.. وخيركم خيركم لأهله وأمته.

(26)

فاطمة بنت الخطاب

أخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة قال: **أين تعمد يا عمر؟**.

فقال: **أريد أن أقتل محمداً.**

قال: **أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك؟**.

---

(1) كذا في الكنز 2/ 317.

قال: وما هو؟

قال: أختك وختنك قد صَبَوا وتركا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر ذامراً (متهدداً) حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خبّاب. قال: فلما سمع خبّاب حسّ عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فلعلكما قد صبوتما.

فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئاً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فأدمَى وجهها.

فقالت: - وهي غضبى - يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله.

قال عمر: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه.

فقالت أخته: إنك رجل نجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ[1].

وهذه لوحة أخرى يذكرها المؤرخون وكتّاب السير عندما يتكلمون عن إسلام عمر، الرجل القوي الذي اعتز الدين بإسلامه، والذي كان لا يسلك شعباً إلا وسلك الشيطان شعباً آخر.. لوحة تضم فاطمة بنت الخطاب.. المرأة التي دافعت عن زوجها المؤمن (سعيد بن زيد)، وتقول لأخيها بكل قوة: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك، وتتحمل الضرب والإهانة ولا تتنازل عن دينها.. وعندما أراد أخوها تناول الصحيفة أبت وقالت: بل أنت رجل نجس.

وأدرك عمر أن المعنى الذي أحال فاطمة بنت الخطاب إلى ما صارت إليه، من القوة والبأس بحيث تردعه وتأبى عليه.. بل وتأمره بأن يتطهر إن أراد قراءة الصحيفة.. لمعنى عظيم. فرأى في نفسه الجبارة في الجاهلية، تستسلم لقوة أخته المسلمة وليس بدعاً هذا.. فالحق غلاب.. والإسلام أغلب.

(1) حياة الصحابة 1/ 437.

وإذا كان رسول الله ﷺ قد دعا أن ينصر اللهُ الإسلام بأحب العمرين إليه، فإن مفتاح إسلام عمر كان أخته فاطمة بنت الخطاب، والفضل لمن سبق.

(27)

ليعلم أني لم أخنه في الغيب

أخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني من أصدّق أن عمر رضي الله عنه بينما هو يطوف سمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... وأرقني أن لا حبيب ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لزحزح من هذا السرير جوانبه
ولكني أخشى رقيباً موكلاً ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه
مخافة ربي والحياء يصدني ... وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

فقال عمر رضي الله عنه: ما لك؟

قالت: أغربت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه.

قال: أردت سوءاً؟.

قالت: معاذ الله.

قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه.

فبعث إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها، فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمّني فافرجيه عني، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟

فخفضت رأسها واستحيت. قال: فإن الله لا يستحي من الحق.

فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر. فكتب عمر رضي الله عنه أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر.

وهذه لوحة أخرى.. لامرأة مسلمة تخشى الله وتراقبه.. طال عهدها بزوجها، وقد خرج مجاهداً في سبيل الله، مع الجيوش التي انطلقت تحرر إرادة الإنسان من جور الطغيان.

تتقلب في فراشها، وتتذكر زوجها. ولكن أين هو منها وقد اشتاقت إليه، وامتلأت نفسها رغبة فيه.. أين الرجل الذي يملأ عليها فراغها، ويسدّ جوعتها، وتتقلب سعيدة في نعمائه..

ويسمع عمر رضي الله عنه صوتها.. ويحس لوعتها ورغبتها.. فيسألها: أردت سوءاً؟ وتجيب: معاذ الله.. إنها أبداً الراعية لنفسها، الأمينة على شرفها وشرف زوجها، الحافظة بالغيب على عهدها وعهد وليها.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[1].

هذه هي المرأة المسلمة الصابرة القانتة الحافظة للغيب التي أوحت لعمر بن الخطاب بتشريع إجازات الجنود.. فقد كتب عمر بعد هذه الحادثة إلى قواد جيوشه بأن لا يحبسوا الجيوش فوق أربعة أشهر.

في هذه اللوحة المعبرة نجد:

- **القائد** الذي يهتم بأمور الرعية الخاصة كما يهتم بأمور الدولة العامة.
- **والرعية** التي أدبها الإسلام فالتزمت بأخلاقه وقيمه.
- **وسؤال الخليفة أم المؤمنين حفصة.. فلا يضير الخليفة أن يسأل عن أمر لم يعرفه!.**

(28)

ستر المسلم

أخرج هنّاد والحارث عن الشّعبي أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إن لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله تعالى، فأخذت

(1) سورة يوسف، الآية: 52.

الشفرة لتذبح نفسها فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة وهي تُخطب إلى القوم، أفأخبرهم من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر: أتعمدُ إلى ما ستر الله فتبديه؟ والله لإن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة[1].

إن الله ستير يحب الستر

والله ﷻ يريد للمجتمع أن يبقى طاهراً نظيفاً.. وأولئك الذين يعتدون على حرمة المجتمع قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وليس مهمًّا أن يخطىء الإنسان.. فكل ابن آدم خطاء.. ولكن المهم أن لا تشيع الخطيئة في المجتمع المسلم. ومن هنا فقد شدد الإسلام في جريمة الزنا واشترط لثبوتها أربعة شهود عدول رأوا عملية الزنا جهاراً نهاراً بوضوح كامل وهذا مما لا يمكن تحققه في واقع الأمر.. لماذا؟ قالوا: حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع.

واللوحة التي أمامنا اليوم هي لفتاة أخطأت فتابت وحسنت سيرتها..

وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ يهدد ذويها إن هم كشفوا سترها أو أذاعوا سرّها أو أخبروا أحداً بخبرها ليجعلنهم نكالاً لأهل الأمصار..!.

والفتاة المسلمة التي حسنت توبتها، وسترها مجتمعها وهو يستشعر مسؤوليته تجاهها، كم ستكون عنصر عطاء وتضحية في سبيل مجتمع حرص عليها وأنقذها!

ألا فليتعلم المربون.. أن التربية الإسلامية ليست مجرد نهي وأمر، أو عقوبة وزجر.. إنما هي كذلك عطف ومحبة وحياة فاضلة وستر.. والتربية الإسلامية تهتم بهداية الناس واستقامتهم أكثر مما تهتم بزجر الناس وعقابهم.

قد لا ينتبه الدعاة والداعيات إلى الله.. إلى مسؤولياتهم عن المجتمع..

---

(1) كذا في الكنز 2/ 150.

(2) سورة النور، الآية: 19.

فتراهم يتندرون بأخبار الناس.. بقصة فلان أو فلانة.. وهم ساهون عن الجريمة التي ارتكبوها.. فقد فضحوا الأستار.. وحدثوا بكل ما سمعوا.. اغتابوا وبهتوا.. وأشاعوا الفاحشة في المجتمع المسلم..

سيدنا عمر الذي نشأ في محضن النبوة يعلمنا من خلال هذه القصة.. أن الدعوة تعني الستر.. وأن الداعية الموفق هو الذي يعمل على ذلك..

هذا هو الأسلوب التربوي القويم..

وكذلك فليفعل الدعاة في مثل هذه المواقف.

(29)

بين بلال وخالد بن الوليد

(الموقف في مسجد مدينة حمص، وفيه كلاً من: أبي عبيدة عامر ابن الجراح، وبلال بن رباح، ومعاذ بن جبل).

أبو عبيدة: اذهب الآن يا معاذ إلى خالد بن الوليد وأحضره معك.

معاذ: سمعاً يا أبا عبيدة.

أبو عبيدة: تلطف به جهدك يا ابن جبل.

معاذ: سأفعل.

أبو عبيدة: ما لي أراك واجفاً يا بلال؟ ما خطبك؟

بلال: وكيف لي لا أجف يا أبا عبيدة وقد رأيتك أنت تجف.

أبو عبيدة: اللّهم ثبت قلوبنا على الحق، واعصمنا من الزلل.

بلال: أتذكر يا أبا عبيدة إذ كان أمية بن خلف يطرحني على ظهري في بطحاء مكة إذا حميت الظهيرة، ويضع الصخرة العظيمة على صدري، ويقول لي: لأتركنك هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد؟.

أبو عبيدة: نعم أذكر.

بلال: والله إن هذا الذي أنا مقدم عليه اليوم لأشق عليّ من ذاك.. كيف أعمد أنا بلال بن حمامة (نسبة إلى حمامة أم بلال) إلى خالد بن الوليد بطل الإسلام، وفارس المسلمين، وسيف الله المسلول فأنزل عمامته على رؤوس الأشهاد.

أبو عبيدة: هذا أمر أمير المؤمنين.

بلال: أفلا تقوم به أنت يا أبا عبيدة وتكفينيه، جزاك الله خيراً؟

أبو عبيدة: ويحك يا بلال.. أو قد نسيت أن النبي ﷺ آخى بيني وبينك؟

بلال: كلا ما نسيت ذلك، ولكن خالداً سيكون أهون عليه أن تقوم بذلك من أن أقوم أنا به.

(كل ما يهمه أن لا يجرح مشاعر خالد بن الوليد سيف الله المسلول).

أبو عبيدة: لا حق له إن فعل.. أنت سيدنا وعتيق سيدنا، ومؤذن رسولنا ﷺ.

(خاف على مشاعر أخيه بلال).

بلال: سيظن ابن الوليد ما لا نحب أن يظنه.

أبو عبيدة: فليظن ابن الوليد ما يشاء.. فلقد قصد أمير المؤمنين هذا المعنى إذ اختارك لهذه المهمة، فكيف ويحك تريد أن تسندها إليّ؟ إذاً والله ليغضبن أمير المؤمنين عليك.

بلال: صدقت لقد أمرني هو أن أتولى ذلك بنفسي، قال لي: يا بلال انزع عمامته، وقيد بها يديه من خلفه على ملأ من الناس، وبحضور أبي عبيدة..

(ثم يدخل الناس أفواجاً في المسجد، ثم يدخل معاذ بن جبل ومعه خالد بن الوليد في نفر من أصحابه فيهم رومانوس (قائد روماني أسلم وحسن إسلامه وشارك المسلمين في كثير من حروبهم، تزوج خولة بنت الأزور) ورافع بن عميرة، ومذعور بن عدي؛ حتى جلسوا في الصف الأول أمام أبي عبيدة. وما هي إلا لحظات حتى وقف رجل وسلم بين الجالسين وصرخ بأعلى صوته موجهاً الكلام إلى أبي عبيدة قائلاً:

الرجل: يا أبا عبيدة.. هل تأذن لمسلم أقمت عليه حد الخمر أمس؟.

أبو عبيدة: يغفر الله لك يا أبا جندل.. ما عندك؟.

أبو جندل: ماذا فعل الله بصاحبنا ضرار بن الأزور؟.

أبو عبيدة: إنه لم يحضر إلينا من قيسارية.

أبو جندل: أفي الحق يا صاحب رسول الله أن تحضرني أنا وأصحابي بالشرطة أول أمس، وتنتظر ضرار بن الأزور حتى يجيئك من تلقاء نفسه متى يشاء؟.

أبو عبيدة: لقد بعثنا إلى عمرو بن العاص ليرسله إلينا في الحال.

أبو جندل: قيل لنا إنك أردت أن تؤثره علينا فتركته في قيسارية وأقمت علينا الحد من دونه.

أبو عبيدة: معاذ الله.. وماذا يحملني على ذلك؟

أبو جندل: قيل لنا إنك راعيت مكانه من خالد بن الوليد فقبلت شفاعته فيه.

أبو عبيدة: ومن قال لك ذلك؟

أبو جندل: كلا لا أخبرك به.

أبو عبيدة: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1].

والله ما كلمني خالد في أمر ضرار بن الأزور، ولو فعله ما شفعته فيه، فإنه لا شفاعة في الحدود.

أبو جندل: كان ينبغي عليك إذن أبا عبيدة أن تكون قد أرسلت في طلبه فأحضروه إليك قبل أن تحضرنا وتسائلنا أمام الناس وتقيم علينا الحد فعسى أن يبلغه ما كان فيهرب من الحد، فلا تستطيع أن تقيمه عليه.

أبو عبيدة: وأنى له المهرب يا أبا جندل؟.

أبو جندل: لقد سمعناه يقول: والله لا أرضى أبداً أن أجلد كما يجلد العبد.

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 6.

أبو عبيدة: وما شأننا بما يقول؟ والله لنقيمنه كما أقمناكم، ولنسألنه عن الخمر كما سألناكم، فإن قال إنها حلال قتلناه، وإن قال إنها حرام جلدناه كما يجلد العبد ولا كرامة.

خالد: (ينهض) يا أبا عبيدة، ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور.

أبو جندل: أرأيت يا أبا عبيدة؟ أرأيتم أيها المسلمون؟.

أبو عبيدة: ما خطبك يا أبا سليمان؟ إنها حدود الله يطهر بها قوماً ويخزي بها آخرين.

أبا جندل: لقد صح إذاً ما قيل.

خالد: يا أبا جندل... ويا أبا عبيدة... ويا أيها المسلمون جميعاً ترحموا على أخيكم ضرار بن الأزور.

الجميع: أو قد مات ضرار؟

خالد: استشهد على أسوار قيسارية، فأعظم الله أجركم فيه، لقد كان والله مجاهداً مغواراً لم ينب له سيف ولم تنثن له قناة ولم يطش له سهم.

ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور أبداً. (تغلبه العبرة فيقف واجماً منذهشاً).

رومانوس: (ينهض إلى أبو عبيدة ويناوله كتاب) ويقول له: هذا كتاب عمرو ابن العاص يا أبا عبيدة (ثم يعود إلى مكانه).

خالد: (يرفع يديه إلى السماء ويدعو) اللّهم إن ضراراً كان يخرج في الليلة الباردة القريرة عريان إلا مما يستر عورته فيجاهد في سبيلك، ويقتحم الجيش اللهام (العظيم) للعدو، ولا يهاب الرماح ولا السهام ولا السيوف، اللّهم فاغفر له ما أذنب في حقك وما أذنب في كبير.. اللّهم إن كان يسخطك عليه أنه شرب في الشام بعض الخمر فاغفر له. اللّهم وارزأه من نصيبه من خمر الجنة، فإنك قلت في كتابك ﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾[1].. (يجلس فيضج الناس بالبكاء).

(1) سورة محمد، الآية: 15.

أبو عبيدة: (يرى بعض الناس يقومون لينصرفوا فيقول لهم): انتظروا أيها الناس لا تقوموا حتى تسمعوا ما أمر به أمير المؤمنين في خالد بن الوليد. . قم يا بلال (ينظر الناس بعضهم إلى بعض في دهش فيتقدم بلال نحو خالد ويقول له):

بلال: يا خالد بن الوليد. . إن أمير المؤمنين أمرني أن أسألك أمام الناس: أمِنْ مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف أم من إصابة أصبتها؟

يدهش خالد فينظر إلى أبي عبيدة، وينظر إليه أبو عبيدة في حنان.

بلال: أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم أم من إصابة أصبتها؟

خالد: (لا يجيب).

بلال: إن أمير المؤمنين أمر أن تعقل بعمامتك وأن تنزع قلنسوتك حتى تجيب عما تسأل الآن عنه.

(يحل عمامة خالد ويعقل بها يديه من وراء ظهره ثم ينزع قلنسوته).

ما تقول يا خالد؟ من مالك أم من إصابة أصبتها؟

تصدر عن جموع المسلمين همهمة، فيقف أبو جندل وسط المسجد ويقول:

أبو جندل: كلا يا قوم لقد بلغ السيل الزبى. .

ما هكذا يعامل الأبطال!

خالد: اسكت يا أبا جندل. . لا تكن داعي خلاف وفتنة.

أبو جندل: يا سيف الله، إنما أردت أن أذب عنك.

خالد: لا أريد أن يذب عني أحد.

أبو جندل: (بصوت متهدج) بأبي أنت وأمي يا أبا سليمان سامحني فيما بدر مني في حقك. . سامحني يا أبا سليمان.

خالد: سامحتك يا ابن سهيل بن عمرو.

بلال: أجبني يا خالد. . من مالك أجزت الأشعث بن قيس أم من إصابة أصبتها؟

خالد: بل من مالي.

أبو عبيدة: (يتنفس الصعداء) الحمد لله.

بلال: (يطلقه ويعيد قلنسوته ويعممه بيده) نسمع ونطيع لولاتنا (يقبل رأس خالد) ونفخم ونخدم موالينا.

خالد: (كالمنكر لتقبيل رأسه وكالمستغرب) مه يا ابن حمامة.. يا ليت لي مثل فضلك وسابقتك. إذن..

بلال: إذن ماذا يا سيف الله؟

خالد: هيهات يا ابن حمامة.. حال الجريض دون القريض (أي غصة الموت منعت من نظم الشعر).

معاذ: صدقت يا أبا سليمان وقول الله ﷻ هو الأصدق:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1].

أبو عبيدة: أيها الناس.. انصرفوا يرحمكم الله، فقد قضينا ما أمر به أمير المؤمنين.

عندما ننظر في هذا الموقف الصعب بين بطل جنّد نفسه كل ما يملك للجهاد في سبيل الله، وبين أصحابه الذين يقدرونه ويحترمونه، وطلب مساءلته بأمر أمير المؤمنين، كل ذلك الإحراج لم يثن المسؤول عن تنفيذ أمر القائد الأعلى مع كل ما يحس به من مشاعر، فتقوى الله فوق أي إحراج، وكذلك المنفذ لهذه المساءلة (بلال) كان مجهداً جهداً نفسياً هائلاً تجاه أخيه خالد، ومع ذلك نفّذ ما أمر به، أما خالد البطل فلم يغضب لذاته وامتثل للأوامر، ولم يتجاوب مع من دافع عنه لأنه يعلم بأن الله يراه وأن الفتنة فرقة وضعف وهو لا يريدها حتى لا تثنيه عن تحقيق هدفه المنشود.

هكذا كان الجند الأول الذين حملوا الإسلام، عقيدة في قلوبهم.. وسلوكاً في جوارحهم.. وإخلاصاً لله في جهادهم.. وطاعة لأولي الأمر في تنفيذ أوامرهم.. وعلى الجيل الجديد أن يقتدي بهؤلاء العظماء.

---

(1) سورة النازعات، الآيتان: 40 - 41.

(30)

أنا عربية وهي مولاة

عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جده قال: أتت علياً ﷺ امرأتان تسألانه، (عربية ومولاة لها).

فأمر لكل واحدة منهما بكرّ (مكيال) من طعام، وأربعين درهماً، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت. وقالت العربية: يا أمير المؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه، وأنا عربية وهي مولاة؟.

قال لها علي ﷺ: «إني نظرت في كتاب الله ﷻ فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما الصلاة والسلام»[1].

وكيف يفرق علي ﷺ في العطاء.. بين عربية ومولاة..؟.

وقد جاء الإسلام أساساً لردم هذه الهوة المهينة لإنسانية الإنسان.. فاختلاف الألسن والأجناس والألوان إنما هي آيات من آيات الله.. ليست مدعاة للتفاضل والتفاخر والتعصب المذموم.. فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

وإذا كانت هذه العربية لم تفهم مقاصد الإسلام بعد.. وما زالت تدعو بدعوى الجاهلية.. وما زالت تحسب أن عربيتها ستجعلها أقرب للإسلام وأقرب لنبي الإسلام من غيرها من المسلمات، فليفهمها الخليفة علي ﷺ حقيقة الموقف.

ولقد فعل سيدنا علي ﷺ بأسلوب رائع فأخبرها - وهو الخبير - بأنه نظر في كتاب الله فلم يجد أن الناس يتفاضلون على أساس الجنس أو اللون، ولم ير فضلاً لولد إسماعيل (العرب) على ولد إسحاق (الأعاجم).. والناس كلهم لآدم وآدم من تراب.

---

(1) البيهقي.

(2) سورة الحجرات، الآية: 13.

وهذا درس لكل الدعاة الذين قرروا المضي في ركب الدعوة أن لا يعيروا انتباهاً للشيطان ولا لحفظة تعاليمه.. وليضعوا نصب أعينهم تعاليم نبي الرحمة الذي يقول: «**المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه**».

وإذا كانت المجتمعات في قديم الناس وحديثهم.. تتفاضل بالأموال فيقدمون الأغنى.. ويتفاضلون بالقبيلة فهذه أعرق وأقوى.. ويتفاضلون بالقوة.. والجاه.. والعنصر.. فإن للإسلام اعتبارات أخرى.

يرى الإسلام أن عصبية العشيرة والقبيلة والقوم والجنس واللون والأرض عصبيات صغيرة متخلفة.. عصبية جاهلية عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الروحي.. وسماها رسول الله ﷺ «منتنة» بهذا الوصف الذي يفوح منه التقزز والاشمئزاز.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

بعض الدعاة إلى الله لا يميزون.. فتراهم يدورون مع عصبيتهم حيث دارت.. يتصورون أنهم بذلك يخدمون الدعوة، ولو صدقوا مع أنفسهم لقالوا: إنما يخدمون أنفسهم وقومهم.. ألا فليعلم المربّون أن الحق في الاستقامة.. والقوة مع المبدأ القويم.. وليس بعد الحق إلا الضلال.

قلّب (إن شئت) صفحات التاريخ الإسلامي.. وستجد أن هذه العصبية المنتنة، هي التي وأدت عظمتنا.. وأساءت إلى قيمنا.. وأركستنا مرة أخرى في حمأة الجاهلية..

سيدنا علي رضي الله عنه يعطينا (من خلال هذه القصة) درساً ميدانياً في التربية.. والمطلوب من الدعاة أن يستوعبوه.

---

(1) سورة التوبة، الآية: 24.

(31)

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية

أثناء الحرب التي دارت بين علي ﷺ ومعاوية، خرج فريق من جند علي كفّر علياً وكفّر معاوية وجاؤوا بأمور لم تكن معروفة من قبل، وذهب ابن عباس ﷺ إليهم ليوضح الحق، ويكشف الشبهة.

قال ابن عباس ﷺ: دخلت عليهم وهم قائلون، فإذا هم مسهّدة وجوههم من السهر، قد أثر السجود في جباههم، كأن أيديهم ثفن الإبل، فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة التي عليك؟ قلت: ما تعيبون من ذلك؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمنية، ثم قرأت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[1].

فقالوا: ما جاء بك؟

قال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأُبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم.

فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن الله يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[2].

فقال بعضهم: بلى فلنكلّمه، قال: فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة.

قلت: ماذا نقمتم عليه؟

قالوا: ثلاثاً، الأولى أنه حكّم الرجال في أمر الله، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[3]، والثانية: فإنه قاتل، فلم يسب، ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حلّ

(1) سورة الأعراف، الآية: 32.
(2) سورة الزخرف، الآية: 58.
(3) سورة الأنعام، الآية: 57.

قتالهم، ولئن كانوا كافرين، لقد حلّ قتالهم وسبيهم. والثالثة: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قلت: أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا، أترجعون؟

قالوا: وما لنا لا نرجع؟

قلت: أما قولكم: (حكّم الرجال في أمر الله) إن الله قال في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[1]، وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾[2] فصيّر الله ذلك إلى حكم الرجال، فناشدتكم الله! أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين، وفي إصلاح ذات بينهم أفضل، أو في دم أرنب ثمنه ربع درهم؟ وفي بضع امرأة؟

قالوا: بل هذا أفضل.

قال: أخرجتم من هذه؟

قالوا: نعم.

قال: وأمّا قولكم: (قاتل ولم يسب، ولم يغنم) أتسبون أمكم عائشة؟ فإن قلتم: نسبيها، فنستحلّ ما نستحلّ من غيرها، فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضلالتين، أخرجتم من هذه؟

قالوا: بلى.

قال: وأمّا قولكم: (محا نفسه من إمرة المسلمين) فأنا آتيكم بمن ترضون، إنّ نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: «**اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك.

---

(1) سورة المائدة، الآية: 95.

(2) سورة النساء، الآية: 35.

قال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنك تعلم أني رسولك، يا علي اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو**».

لقد كان ابن عباس بحراً زخاراً، كشف الشبهة ودحضها، وأتى بالأدلة البينة من الكتاب والسنة، ولقد أثمرت جهوده فرجع منهم عن باطلهم ألفان[1].

أسلوب الحوار

في هذا النص الذي أمامنا درسٌ عظيم استخدم فيه ابن عباس رضي الله عنهما الحوار الهادىء المقترن بالدليل..

1 - لقد كان ابن عباس **معلماً** عندما قال لهم: لقد جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله. وهذا أمرٌ ضروري لإنجاح الحوار بأن يشعر المقابل بأنك أعلم منه.. وهذه هي طبيعة المتعلم أن لا يأخذ إلا من معلم أعلى منه درجة.

2 - وامتلك ابن عباس **مهارة حسن الاستماع**.. فامتص غضبهم بإعطائهم الفرصة الكافية لشرح وجهة نظرهم.. وهو حين يستمع إليهم يعطي لنفسه الفرصة لاستيعاب ما يقولون ويحضّر إجابته المناسبة.

3 - وجاء **بالدليل العلمي** الذي يفهمه هؤلاء من الكتاب والسنة. فأثبت لهم (بالحلم والصبر) عكس ما يقولون، فنقلهم من الكفر إلى الإيمان.

وهكذا فإننا مهما اختلفنا مع الآخرين، ومهما كانت البيئات النفسية التي تحيط بالمختلفين متباينة.. فإن هناك دائماً مجالاً ممكناً للانتقال بمعلوماتنا إلى العقل الآخر والتأثير عليه من النقيض إلى النقيض.

(1) جولة في رياض العلماء - د. عمر الأشقر.

(32)

أبعث معكم القوي الأمين

حدّث محمد بن جعفر، قال: قدم وفد من النصارى على رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء من أموالنا اختلفنا فيها، فإنكم عندنا معشر المسلمين مرضيون.

فقال رسول الله ﷺ: «**ائتوني العشيّة أبعث معكم القوي الأمين**».

فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر، جعل ينظر عن يمينه وعن يساره، حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه فقال: «**اخرج معهم فاقض بينهم بالحق**».

اكتشاف الطاقات

إن النظر في مثل هذه الحوادث يعرّفنا المنهج الذي اتبعه الرسول القائد ﷺ في تربية أصحابه.

فالقائد هنا يعرف أصحابه جيداً.. ويعرف نقاط القوة عند كل واحد منهم.. فعندما قال قولته تلك: «**أبعث معكم القوي الأمين**»، اشرأبت أعناق الصحابة، يتمنى كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك الوصف.. وكان أبو عبيدة بن الجراح هو المطلوب.

مثل هذه العلامة الفارقة والصفة المميزة، أطلقها رسول الله على الكثيرين من أصحابه: فهذا الصدّيق.. وذاك الفاروق.. وذاك أمين هذه الأمة.. وهذا سيف الله المسلول.. وهذا غلام مُعَلَّم.. وهكذا.. وهذا الوصف الذي أطلقه رسول الله ﷺ تعمقت صفته في نفوس هؤلاء فأصبحوا أعلاماً عظماء تباينت أشكال عظمتهم.. بتباين الأوصاف التي أطلقها عليهم القائد المربي.. وهذا أسلوب فريد في التربية.. فما إن يلمح المربي صفة بارزة عند أحد إخوانه حتى يعلنها على رؤوس الأشهاد، ويعمقها وينميها عنده.

وكم من الكلمات صنعت أبطالاً.. وصارت مثلاً.. وغيّرت مجرى التاريخ.

هكذا تكون التربية الناجحة..

وكذلك فليفعل المربّون.

(33)

خبيب بن عدي في ساحة الموت

كانت أكفّ النساء والصبيان والشبّان تدفع خبيب بن عديّ إلى ساحة الموت، لينتقموا من محمد في شخصه، وليثأروا لقتلاهم في بدر بقتله.

ورأت جموع قريش خبيباً يتقدم إلى خشبة الصلب، وسمع الجميع صوته وهو يقول: إن شئتم أن تتركوني أركع ركعتين قبل مصرعي فافعلوا...

واستقبل خبيب الكعبة، وصلى ركعتين، وقال: والله لولا أن تظنوا أني أطلت الصلاة جزعاً من الموت، لاستكثرت من الصلاة.

وبدأت الجموع تمثّل بخبيب حيًّا، فيقطعون من جسده القطعة تلو الأخرى وهم يقولون له: أتحب أن يكون محمد مكانك؟.

فيقول والدماء تنزف منه: والله ما أحب أن أكون آمناً في أهلي وولدي، وأن محمداً يوخز بشوكة.. ثم لفظ أنفاسه الأخيرة وبه ما لا يعد من ضربات السيوف وطعنات الرماح..

الحب والتضحية

هذا الموقف الرائع الذي سجّل فيه البطل خبيب بن عدي رضي الله عنه حبه الكبير للنبي ﷺ، واستسهاله الموت دفاعاً عن العقيدة والمبدإ.. هذا الموقف أثّر في شبان مكة تأثيراً كبيراً، وعلمهم أن الحياة الحقة جهاد في سبيل العقيدة حتى الموت.

وعلمهم أن الإيمان الراسخ يفعل الأعاجيب، ويصنع المعجزات.

وعلمهم بصمت شديد أن الرجل الذي يحبه أصحابه كل هذا الحب إنما هو نبي مؤيد من السماء.

هذا الموقف الرائع.. أثّر عميقاً في الكثيرين من أهل مكة.. فهذا سعيد بن عامر الجُمَحيّ الذي شهد الموقف مع من شهد، لم يغب خبيب عن خاطره لحظة.. وهو قائم يصلي ركعتيه الهادئتين المطمئنتين أمام خشبة الصلب.. ها هو سعيد يقوم في الملأ ويعلن براءته من آثام قريش وأوزارها، وخلعه لأصنامها وأوثانها ودخوله في دين الله.

هكذا تفعل المواقف الكبيرة العظيمة: صمتها أبلغ من كل خطاب.. وقوتها تزلزل كل جبروت أو طغيان.. وإيمانها يهزم كل ضلال..

هكذا غرس النبي مبادىء الدين والعقيدة في نفوس أصحابه، فهانت من أجلها نفوسهم وما يملكون في سبيل الله.

لقد كانت أواصر محبتهم لنبيهم عميقة في نفوسهم.. فاستسهلوا الموت من أجله.

التربية الحقة تبدأ من هنا.. من الحب العميق الذي يربط المربي بإخوانه. فإذا تعمقت الأواصر.. تحولت الكلمات إلى أفعال.. وصارت التعاليم سلوكاً.. وصار الخير عرفاً يملأ الأجواء بعبقة عطره وشذاه.

هل تريد أن تعرف إذا كنت مربياً ناجحاً؟

فتش عن الحب في قلوب من تشرف على تربيتهم..

هكذا فعل المربي العظيم محمد ﷺ مع أصحابه..

وهكذا فليفعل المربون مع إخوانهم.

(34)

أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟

روى خوات بن جبير رضي الله عنه قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ بمر الظهران (مكان خارج مكة) قال: فخرجت من خبائي فإذا نسوة يتحدثن فأعجبنني، فرجعت فاستخرجت حلة «من أحسن ثيابي» فلبستها وجئت فجلست معهن. فخرج رسول الله ﷺ فقال: «**أبا عبد الله**». فلما رأيت رسول الله ﷺ هبته واختلطت (اضطربت) قلت: يا رسول الله جمل لي شرد (نفر واستعصى) وأنا أبتغي له قيداً. فمضى واتبعته فألقى إليّ رداءه ودخل الأراك كأني أنظر إلى بياض متنه في خضرة الأراك، فقضى حاجته وتوضأ وأقبل والماء يسيل من لحيته على صدره فقال: «**أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟**» ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في المسير إلا قال: «**السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد ذلك الجمل؟**» فلما رأيت ذلك تعجلت إلى المدينة واجتنبت المسجد ومجالسة النبي ﷺ، فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد فخرجت إلى المسجد وقمت أصلي، وخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره، فجاء فصلى ركعتين خفيفتين، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني فقال: «**طوّلْ أبا عبد الله ما شئت أن تطوّل فلست قائماً حتى تنصرف**». فقلت في نفسي: والله لأعتذرن إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدر رسول الله ﷺ، فلما انصرف، قال: «**السلام عليك أبا عبد الله ما فعل شراد جملك؟**» فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت، فقال: «**رحمك الله**»، ثلاثاً. ثم لم يعد لشيء مما كان[1].

أمامنا لوحة ناطقة معبرة:

صحابي جليل رأى نسوة فأعجبنه، فارتدى أحسن ثيابه وانضم إليهن ويراه رسول الله ﷺ في هذا المشهد المريب.. ويرتبك الرجل ويتعلل بحادث

(1) رواه الطبراني.

مختلق.. بأنه إنما خرج يبحث عن جمله الذي شرد.. ورسول الله (المبعوث رحمة للعالمين) لا يترك الرجل لضعفه ولا للإثم الذي ارتكبه فهو المربي العطوف الذي يهمه أن يبقى إخوانه أصفياء أتقياء بعيدين عن كل إثم ما ظهر منه وما بطن.. ولا يعنفه أو يشدد عليه.. بل يكنيه ويكرمه.. ويسأله فيما يشبه الدعابة: «**أبا عبد الله ما فعل شراد جملك؟**».

إذا لحق به سأله.. وإذا رآه في المسجد سأله.. حتى أيقن صاحبنا أن لا منجاة له إلا بمصارحة النبي ﷺ والتخلص من هذا الذنب.. والكذب الذي لجأ إليه هذا الصحابي ليبرر فعلته ويتخلص من ورطته.. أشدّ في الحساب من الفعل نفسه.. فلم يكن من خُلق أشد على رسول الله ﷺ من الكذب.. فإذا اطلع على شيء من ذلك عند أحد من أصحابه.. فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة.

ووظيفة النبي ﷺ المربي هنا.. أن يأخذ بيد الرجل.. يتعهده بالكلمة الطيبة.. والدعابة الرحيمة.. مع الإصرار على اقتلاع جذور الشر من نفسه بالتوجيه الكريم والدعاء الذي تنشرح له الصدور.. حتى يعلم أنه تاب إلى الله وأناب.

هكذا كان النبي المعلم ﷺ يعالج أمراض النفوس.. ويصبر على العلاج حتى يتأكد من الشفاء.. فالمجتمع الإسلامي يحتاج إلى بناة صادقين ربانيين.. والعضو الفاسد.. يفسد الصف ويفسد المجتمع.

وهكذا فليفعل المربون.

(35)

أنس بن مالك يحفظ سرّ النبي ﷺ

لم يكد رسول الله ﷺ يستقر بالمدينة المنورة، حتى جاءته الرميصاء بنت ملحان ومعها غلامها الصغير.. فقالت: يا رسول الله إني لا أجد ما أتحفك به غير ابني هذا.. فخذه، فليخدمك ما شئت.

وهكذا تحوّل أنس بن مالك.. أو أنيس كما كانوا ينادونه، ابن العاشرة من عمره، إلى بيت النبي ﷺ الذي هش للفتى الصغير وبش وضمه إلى أهله.

وعاش أنيس في كنف النبي ورعايته إلى أن لحق ﷺ بالرفيق الأعلى.

ولن نتحدث اليوم عن أنس الذي غدا مرجعاً للمسلمين يفزعون إليه كلما أشكل عليهم أمر من أمور دينهم.. ولكنا نريد أن نسمع منه شيئاً عن عظمة القيادة الإسلامية التي عاش أنس في كنفها.

عن ثابت عن أنس قال: أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال: فسلّم علينا فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرّ، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً. قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت[1].

هذا نموذج حيّ من تربية النبي ﷺ لأصحابه.. كباراً وناشئة، فهذا أنس خادمه الصغير.. جاءه رسول الله وهو يلعب مع الغلمان، فكلفه بمهمة.. فلما قضاها لرسول الله ﷺ، سألته أمه عن تلك المهمة فأبى أن يفشي سرّ رسول الله، فأثنت عليه وشجعته وقالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً.

لقد كان المجتمع المسلم مجتمعاً جاداً.. يستلهم أفراده تعاليم نبيهم ﷺ

---

(1) مسلم.

الذي قال: على كل مسلم صدقة. قالوا: يا رسول الله، فإن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق**». قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فليأمر بالمعروف**». قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: «**فليمسك عن الشر فإنه صدقة**»[1].

إرادة التغيير

إن التقدم رغبة حضارية يحوزه من يملك تلك الرغبة.. والتعاليم الإسلامية أحاطت هذه الرغبة بالعناية والتربية.. أوجدتها.. وعمقت جذورها.. ووسعت دائرتها حتى شملت جميع طبقات المجتمع كباره وصغاره، نسائه ورجاله.. فلم تعد تر إنساناً عاطلاً يجتر نفسه.. أو ثرثاراً يجتر أحاديث الناس.. أو مغتاباً يفتري على الحق.

إن الحاكم الطاغية، والبرامج الخبيثة، والمناهج المستوردة، وقتل الأبناء، وتشريد الرجال، وكل ما يخطر بالبال من العسف والجور والطغيان، لا يستطيع أن يفتك بأمة، أو يضمها إلى قافلة التخلف، إذا لم ترتض الأمة لنفسها هذا المصير.

إن قلة عدد المسلمين في مكة، وضعف إمكاناتهم المادية، ومحاصرتهم ومطاردتهم، وتعذيبهم حتى الموت، وملاحقتهم بالدعاية المضادة، وأخيراً طردهم من بيوتهم وأملاكهم.. كل ذلك لم يحل بينهم وبين التعبير عن أنفسهم بدولة كانت النموذج الأرفع لكل دول العالم.. لقد كانت إرادة التغيير والسمو أقوى من إرادة الظلام والتخلف. وكل ذلك يعتمد على بناء الفرد.. الصرح الحقيقي الذي يقوم عليه البناء الكبير.

ولهذا فقد ركز المربي الأول النبي محمد ﷺ على تربية أصحابه.. فحفظ عليهم استقامة وجدانهم.. وطُهْر ألسنتهم.. وجدية أوقاتهم..

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يطلب منه عمر رضي الله عنه أن يتزوج ابنته حفصة رضي الله عنها عندما

(1) رواه الشيخان.

ترملت.. ويسكت أبو بكر فلا يجيب بلا أو نعم.. وبعد أن تزوج رسول الله ﷺ حفصة.. قال سيدنا أبو بكر لعمر: لقد ذكرها رسول الله ﷺ.. وما كنت لأفشي سره.. ولولا ذلك لتزوجتها.

ولم يكن أبو بكر عملاق الإسلام وحده من يحفظ سرّ المجلس.. بل الغلام الصغير أنس.. يحفظ السر كذلك.. وتشجعه والدته على هذا السلوك وتوصيه بأن لا يفشي سرّ رسول الله ﷺ.

شعار الجميع.. التوجيه التربوي النبوي: ليقل المسلم خيراً أو ليصمت..

يقول أنس: والله لقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته.. ولا لشيء تركته: لِمَ تركته؟

هكذا فعل المربي الأول مع أصحابه..

وكذلك فليفعل المربون.

فالقائد الحكيم لا يعلم بالأوامر.. ولا يعنف أو يزجر على الخطأ.. ولا ينتظر الفرصة ليشعر الآخرين بالنقص.. فله من الحب الذي مدّ جسوره مع الآخرين: أهل بيته، إخوانه، رفاقه، جيرانه، أبنائه، خدمه، بحيث يتبارون جميعاً لتلبية حاجاته.. فلم تعد المسألة مسألة كبير يأمر، وصغير ينفذ، بل ساحة حب يتبارى فيها الفرقاء جميعاً في بذل ما يستطيعون.

هكذا تكون القيادة.. وهذه أخلاقيات القائد..

وعلى الدعاة أن يتعلموا.

(36)

قصة كعب بن مالك

عن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنه وكان قائدَ كعب رضي الله عنه من بنيه حين عمي.. قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث بحديثه حين تخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك. قال كعبٌ: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة

غزاها قطّ إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفتُ في غزوة بدر ولم يُعاتَب أحدٌ تخلف عنه. ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام. . وما أُحبّ أن لي بها مشهدَ بدر وإن كانت بدر أذكَرَ في الناس منها.

التردد يفسد العزم

وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهم في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة. . فغزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدداً كثيراً. . فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ. قال كعب: فقلَّ رجلٌ يريد أن يتغيب إلا ظنّ أن ذلك سيخفي به ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر (أميل)، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وطفقتُ أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئاً وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجدُّ فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوتُ فرجعتُ ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر ذلك لي.

مجتمع الضعفاء والمترددين

فطفقتُ إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزُنُني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «**ما فعل كعب بن مالك؟**» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه. فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

الاعتذار بالكذب

قال كعب: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثِّي فطفقتُ أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.. فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلّ قادماً راح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه.

وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون إليه ويحلفون له. وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت فلما سلمت تبسّم تبسم المغضب.. ثم قال: «**تعال**»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: «**ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك**»، قال: قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أُعطيتُ جدلاً. ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله يسخطك عليّ، وإن حدثتك حديث صدق.. تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله ﷻ والله ما كان لي من عذر.. والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

النجاة في الصدق

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك**». وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا لقد عجزتَ في أن لا تكونَ اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله ﷺ لك.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي.. ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفيّ.. قال: فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي.

مقاطعة المسلمين

ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه.. قال: فاجتنبنا الناسُ حتى تنكرتْ لي في نفسي الأرض.. فما هي بالأرض التي أعرف.. فلبثنا في ذلك خمسين ليلة.. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان.. وأما أنا فكنت أشَبَّ القومِ وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولاَ يكلمني أحد.. وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه بردّ السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ وإذا انتفت نحوه أعرض عني.

التزام الصف المسلم

حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إليّ فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام.

فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله ﷺ؟ فسكت، فعدتُ فناشدته فسكت فعدت فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليتُ حتى تسورت الجدار..

هذه فتنة أكبر

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان.. وكنت كاتباً.. فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت حين قرأتها: وهذه أيضاً من البلاء.

فتيممتُ بها التنور فسجرتها.

اعتزل امرأتك

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي إذا رسولُ

رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك.. فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل.. فقال: لا بل اعتزلها فلا تقربنها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن هلال ابن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا، ولكن لا يقربنّك**». فقالت: إنه والله ما به من حركة إلى شيء، ووالله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان يومنا هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

توبة الله

فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا.

ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا.. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج.. فأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله ﷻ علينا حين صلّى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا، فذهب قبل صاحبيّ مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي وأوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس.

فرحة المسلمين بتوبة أخيهم

فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيّ فكسوتهما إياه والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة، ويقولون لي: لتهنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني.. والله ما قام رجل من المهاجرين غيره فكان كعب لا

ينساها لطلحة - قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: «**أبشر بخير يوم مرّ عليك مذ ولدتك أمك..**». فقلت: أمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «**لا بل من عند الله عزوجل**»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه.

العهد على الصدق

فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك**». فقلت: إني أمسك سهمي بخيبر، وقلت: يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدّث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى. والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ ألا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا: فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2].

---

(1) سورة التوبة، الآيات: 117 - 119.

(2) سورة التوبة، الآية: 95.

قال كعب: كنا خلّفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك. قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وليس الذي ذكر مما خلّفنا تخلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه[1].

دروس تربوية:

في هذه القصة كثير من الدروس التربوية التي ينبغي أن يتدبرها الدعاة إلى الله تعالى..

◄ **من هذه الدروس**

أن التردد يفسد العزم.. فهذا كعب بن مالك الصحابي الجليل رضي الله عنه يسمع الأمر النبوي بالاستعداد، ويغدو إلى سوق قومه ليتجهز.. ولكنه يسوّف الأمر إلى الغد.. ثم إلى الغد الذي يليه حتى تفارط الغزو ولم ينجز شيئاً.. وكذلك هو التردد يفسد العزم ويربك الإنجاز.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

◄ **ومن هذه الدروس:**

أن أصحاب الهمم العالية يصعدون باستمرار إلى القمم. ويلحق بهم أمثالهم.. فإذا صعدوا لم يبق في السفح إلا الخوالف من الضعفاء والمعذورين أو ممن في قلوبهم مرض.. وكذلك الصحابي الجليل كعب بن مالك وجد نفسه حين تخلف عن رسول الله ﷺ مع الخوالف.. ممن عذر الله من الضعفاء أو من المنافقين.. فليحذر الدعاة هذا المصير.

◄ **ومن هذه الدروس:**

أن يحيط القائد بظروف إخوانه جميعاً.. يتفقدهم.. ويسأل عنهم.. فلم

(1) متفق عليه.

يحل العدد الكبير والجيش الجامع.. أن يسأل رسول الله ﷺ عن جنوده.. «**أين كعب بن مالك؟**».

◄ **ومن هذه الدروس:**

أن يلتزم المسلم الصدق وإن ظن أن في الكذب النجاة.. فلا نجاة حقيقية في الدنيا والآخرة إلا بالصدق.. فالصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال المرء يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

◄ **ومن هذه الدروس:**

التزام الصف المسلم بالأوامر التي تلقى إليه من قيادته.. حتى ابن عمه أبو قتادة يسلّم عليه فلا يردّ عليه السلام.. وكما التزم الصف فقد التزم كعب بن مالك بهذه الأوامر.. وإلا لضاع الصف وتفرقت كلمته وذهبت ريحه.

◄ **ومن هذه الدروس:**

أن الذي يتعرض إلى محنة ما في الصف، عليه أن ينتبه جيداً فلا يؤتين من هذه الثغرة.. فحين تلقى كعب بن مالك رسالة ملك غسان.. لم يزد على أن قال: هذه فتنة أكبر.

◄ **ومن هذه الدروس:**

أن ينخلع كعب بن مالك من ماله صدقة إلى الله ورسوله، اعترافاً بذنبه وشكراناً لله تعالى على قبول توبته، فالتوبة عهد والصدقة برهان.

◄ **ومن هذه الدروس:**

الفرحة الكبرى التي فرحها رسول الله ﷺ وأصحابه العظماء بتوبة أخيهم.. فالتوبة عمل عظيم يستحق تقدير القائد وأبناء الصف جميعاً.. فهي عودة المخطىء للحق، والتزام المقصر بالصف.

هكذا كان يربي رسول الله ﷺ أبناء صفه..

وهكذا فليفعل المربون..

(37)

فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما

أخرج سعيد بن منصور وابن النجار عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال لي: «**رأيتها**»؟ فقلت: لا، قال: «**فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**». فأتيتها فذكرت ذلك لوالديها، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقمت فخرجت، فقالت الجارية: علي بالرجل، فوقفت ناحية خدرها فقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إلي فانظر، وإلا فإني أحرج عليك أن تنظر. فنظرت إليها فتزوجتها، فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إلي منها ولا أكرم علي منها[1].

وهذه قضية هامة يعالجها الإسلام، تتصل بموقف الخاطب الذي يحب أن ينظر إلى مخطوبته، فيرى منها ما يحببه إليها ويدعوه إلى زواجها.

ولا نريد هنا أن ندخل في الآراء الفقهية ما يباح رؤيته وما يمنع، وأين يراها وكيف، لوحدها أم بوجود محرم لها.. فهذه أمور فصلها الفقهاء واختلفوا في بيانها وليست هي موضوعنا.

أما الذي يعنينا هنا فهو موقف تلك الفتاة المسلمة الداعية التي ما إن سمعت قول النبي ﷺ لخطيبها أن ينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما.. وما إن رأت موقف والديها السلبي في تنفيذ رغبة النبي ﷺ، استجابة منهما للعرف الخاطىء.. وحتى لا يقال! ما إن رأت خطيبها ينسحب من الموقف المحرج.. حتى تولت الفتاة التصرف بنفسها، فالأمر من شأنها.. وهي المسؤولة عنه أولاً وأخيراً.. فهي ابتداء التي تريد الاقتران بهذا الرجل وتحب أن تراه وتطمئن إليه.. فلمَ لا يراها هو كذلك ويطمئن إلى اختياره..؟ وهي ثانياً تعلم أن هذا

(1) كذا في الكنز 8/ 288.

الأمر في مصلحتها.. ومصلحة ديمومة بيتها وزواجها.. وهي ثالثاً تنفذ أمر النبي الذي لا ينطق عن الهوى..

وبكل الجرأة التي تتمتع بها المسلمة الداعية، وبمنتهى الأدب تقول له: إن كان النبي أمرك أن تنظر إلي فانظر.. وماذا كانت النتيجة؟ يقول الخاطب الذي هو المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: فما تزوجت امرأة قط أحب إليّ منها ولا أكرم عليّ منها.

إن العرف الخاطىء الذي يتحكم بمصير الفتاة، فتزف إلى زوجها دون أن يراها أو تراه، يجلب كثيراً من المشاكل للفتاة أولاً ولسعادة بيتها وديمومة زواجها ثانياً..

هكذا يأمرنا المصطفى ﷺ أن نفعل وهو يتعهدنا بالتربية..

وهكذا ينبغي أن يقتدي به المربون المصلحون فيفعلون.

(38)

لا تفتوا في أعضاد الناس[1]

في غزوة الخندق كان بين رسول الله ﷺ وبني قريظة عهد، وانتهى إلى رسول الله ﷺ أن بني قريظة قد نقضوا العهد، فبعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة مع وفد من الأنصار، وقال لهم: «**انطلقوا حتى تنظروا: أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا إلي لحناً أعرفه** (أي أبلغوني بإشارة وتلميح) **ولا تفتّوا في أعضاد الناس** (أي لا تضعفوا في عزائمهم)، **وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به بين الناس**»[2].

يمر الناس - أفراداً وجماعات ودولاً - بظروف شتى، فيها اليسر والعسر، والأمن والخوف، **والنجاح والإخفاق**.. **ومن شأن معظم النفوس أن تهتز**

(1) مجلة المجاهد - العدد 66.

(2) سيرة ابن هشام.

وتتضعضع أمام أخبار العسر والخوف والإخفاق، ويجد العدو فرصته في إشاعة قالة السوء هذه، أو يختلق أخبار سوء من عند نفسه، أو يبالغ في تصوير حال الضعف.. ويتبعه في ذلك ويجاريه أصحاب النيات السيئة، وبعض المغفلين كذلك، فيسري اليأس في نفوس الجماهير.

وقد يجد مروّجو قالة السوء (من داخل الصف) مقولات يحتمون تحتها: بدعوى الصراحة، وكشف الواقع للناس، ومفاتحتهم بحقائق الأمور. وهم في واقع الأمر لا يميزون بين ما هو خبر كاذب أو أمر مبالغ فيه، وبين ما هو حقيقة مجردة، فضلاً عن أن نقل الحقائق المجردة نفسها أمرٌ غير جائز في كل الظروف ولكل فئات الناس، فالنفوس ليست في التحمل سواء، والعقول ليست في الإدراك سواء.

يشترك الأعداء والمشبوهون والمغفلون جميعاً بهتك الأستار وإذاعة الأسرار واختلاق السقطات.. باسم الصراحة والوضوح!! والمسلم يملك قلباً مطمئناً لوعد الله، آملاً بنصره وتمكينه.. على الرغم من أن الآخرين في غاية اليأس، وعلى الرغم مما يبدو من ظلم وظلام.

فأي ظرف أقسى من ظروف المسلمين في غزوة الخندق؟! لقد وصف الله تعالى شدة الموقف على المؤمنين بعبارات تصور الصفوف والوجوه والقلوب:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾[1].

وكان من نتيجة هذا الابتلاء أن تمحص الصف. فالرسول القائد ﷺ وعد أصحابه في تلك الأجواء العصيبة بنصر الله: «**أبشروا بفتح الله ونصره**». بل وعدهم بملك كسرى وقيصر. والمؤمنون الواعون قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[2].

(1) سورة الأحزاب، الآيتان: 10 - 11.
(2) سورة الأحزاب، الآية: 22.

والمنافقون والذين في قلوبهم مرض قالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[1]. وقالوا: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط! ولقد تحقق وعد الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

تحقق ذلك في غزوة الأحزاب، وتحقق في مجمل حياة النبي ﷺ، وتحقق في مسيرة التاريخ الإسلامي.

وكما يحاول القائد العظيم أن يتعامل بحكمة مع أبناء أمته في أيام الشدة يحيي الأمل في نفوسهم، ويبعد عنهم غيوم القلق، فإنه كذلك لا يفوّت فرصة رفع المعنويات حين يحدث النصر ويتحقق الفوز. فحين سمع النبي ﷺ أحد أصحابه بعد غزوة بدر الكبرى، يعرض خبر النصر العظيم وكأنه شيء قليل، أبى عليه ذلك، وصحح الصورة، ورفع المعنويات.

كان ذلك الصحابي يقول: إن لقينا إلا عجائز صلعاً فحصدناهم حصداً. فقال النبي الكريم المعلم ﷺ: «**أي ابن أخي، أولئك الملأ**»، لا تقلل من شأن ذلك النصر وترى أننا قابلنا عجائز ضعافاً فلم يكن الانتصار عليهم ذا شأن، بل أولئك الذين قابلناهم هم سادة مكة، وأئمة الكفر، وصناديد قريش.

والقضية بعد ذلك ليست قضية القائد وحده، بل هي قضية الأمة والجماعة، وكل مسلم واع يدرك دوره في التصدي للعدو وكيده، فلا يكون بوقاً في فم العدو ينقل عبره إشاعاته وأقاويله، ولا يهتز لأول خبر يسمعه، بل يتثبت مما يسمع، وينقله إلى أولي الأمر، ولا يعمل على إشاعته. وأولو الأمر يقررون السياسة الأحكم في التعامل مع كل خبر.

ولربّ خبر نشره بعض الضعفاء أحدث فتنة وخبالاً.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 12.

(2) سورة النور، الآية: 55.

ولربّ خبر أشاعه المرجفون، كان ينبغي كتمانه عن العامّة حتى يتمكن أولو الأمر من توظيفه في خير الأمة وخير دينها ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾.

هكذا علم النبي ﷺ أصحابه ففعلوا..

وكذلك فليفعل المربون.

(39)

عبّاد بن بشر

قاد النبي ﷺ ثلة من المؤمنين يقدر عددهم بأربعمائة مقاتل، إلى ديار غطفان من أرض نجد في جمادى الأولى سنة (4 هـ)، لإحباط تحركهم لحرب المسلمين. وفي **غزوة ذات الرقاع** هذه نزل النبي ﷺ بجيشه في شعب من شعاب نجد، فطلب انتخاب من يقوم بالحراسة، فقال: «**من يكلؤنا هذه الليلة؟**».

فقام عبّاد بن بشر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فقالا: نحن نكلؤكم. ثم رابطا على فم الشعب، فقال عباد بن بشر لعمار: أنا أكفيك أول الليل، وتكفيني آخره.

فنام عمار وقام عبّاد يصلي. وكان أحد رجال العدو يتربص قريباً من المعسكر، فلما رأى سواد عباد قال: هذا ربيئة القوم (حرسهم) فصوب نحوه سهماً فأصابه، فانتزعه عباد فرماه دون أن يخرج من صلاته، فرماه بسهم آخر، فانتزعه واستمر في صلاته، فلما غلبه نزيف الدم وخشي أن يغمى عليه فيبقى الجيش بدون حارس، أيقظ عماراً وقال له (معتذراً): لولا أني خشيت أن أضيع ثغراً أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أوتِيَ على نفسي[1].

هذا هو جيل النصر السابق.. وجيل النصر في كل وقت.. فإذا أراد المسلمون أن يعرفوا أسباب النصر.. فليتعرفوا عليها من سيرة عباد بن

(1) السيرة الحلبية 2/ 63.

بشر ﷺ ، الذي تتلمذ على يد القائد المربي، الذي علمهم.. أن كل مسلم يقف على ثغر من ثغور الإسلام.. فلا يؤتين الإسلام من قبله.

(40)

غِسِّيل الملائكة

أمامنا الآن صورة رائعة لشاب مؤمن اسمه حنظلة. أبوه أبو عامر الراهب، كان زعيماً للأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام شرق به وفاض قلبه حقداً على النبي ﷺ فترك المدينة ومعه خمسون رجلاً من أتباعه.. والتحقوا بمكة يحرضون المشركين على قتال المسلمين.. ويوم أحد قاتلوا تحت راية أبي سفيان قائد جيش مكة. كانت قريش تثأر من المسلمين لقتلاها في بدر.. وهي في نفس الوقت تريد القضاء على محمد وأصحابه وعلى الدين الجديد الذي زلزل كيانها وهدد مكانتها بين العرب..

أما حليف قريش أبو عامر.. فله هدف مماثل فهو يريد اقتلاع المسلمين من المدينة، لتعود إلى اسمها يثرب.. ويعود أبو عامر إلى زعامة الأوس مرة أخرى.

هذا أبو عامر الذي قاتل بشراسة ضد المسلمين في أحد.. وأما ابنه حنظلة فقد كان نعم الشاب المؤمن الصادق.. الذي مثّل أعلى أدوار البطولة والشهامة والوفاء لدينه ونبيه.

استأذن في قتل أبيه، ولكن النبي نهاه عن ذلك. وفي قلب المعركة التقى حنظلة بأبي سفيان (قائد جيش المشركين)، فحمل عليه، وبعد أن عقر فرسه وقع أبو سفيان على الأرض، فعلاه حنظلة ليجهز عليه بسيفه، ولكن أحد مرافقي أبي سفيان وهو شداد بن الأسود ضرب حنظلة بالسيف فقتله..

وحنظلة هذا هو غسيل الملائكة المشهور. ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ قال بعد أن استشهد حنظلة البطل: «**إن صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه؟**».

فسُئلت زوجه (وهي جميلة بنت أبي سلول) وكانت عروساً عليه تلك الليلة، فقالت: خرج وهو جنب حين سمع نداء الجهاد.

فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك غسلته الملائكة..**».

لقد تشبثت به وحاولت إقناعه بعدم الخروج.. ولكنه مضى يلبي نداء الجهاد ولم يمض على زواجه غير ليلة واحدة..

هذا هو الشباب الذي تربى في مدرسة النبوة.. علمته هذه المدرسة.. أن تلبية نداء الواجب.. أهم من أي شيء آخر.. فعليه أن يكون مستعداً أبداً.

وكذلك على شبابنا اليوم أن يتعلموا ذلك من غسيل الملائكة.

(41)

من يأخذ هذا السيف بحقه؟

في غزوة أحد.. عبأ رسول الله جيشه، ثم جرد سيفاً باتراً.. وقال: «**من يأخذ هذا السيف بحقه؟**».

فقام إليه رجال ليأخذوه فأمسكه عنهم، ومن هؤلاء الرجال: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعمر بن الخطاب، ثم قام إليه أبو دجانة (وكان رسول الله ﷺ يقصده) فقال: وما حقه يا رسول الله؟.

فقال ﷺ: «**تضرب به حتى ينحني**».

فقال أبو دجانة: أنا آخذه.. فدفعه إليه.

قال الزبير بن العوام: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة.. والله لأنظر ما يصنع، فاتبعته، فأخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف عليه، فدنا منه أبو دجانة، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله.

وقال كعب بن مالك وهو يتابع معركة أحد: فإذا برجل من المشركين جمع اللأمة (أي استكمل كل عدة الحرب) يجوز المسلمين، وإذا برجل من المسلمين ينتظره، فضرب المسلم الكافر ضربة فبلغت وركه وتفرق فرقتين، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دجانة..

وختم أبو دجانة دوره في غزوة أحد، فقد أقام من نفسه سوراً ليقي رسول الله ﷺ وقْع سهام العدو المنهالة عليه، فقد ترس بنفسه دونه معرضاً جسمه لسيل نبال العدو المنهمر من أقواس المشركين. ولقد ذكر المؤرخون أن نبال المشركين المصوبة نحو الرسول ﷺ كانت تقع في ظهر أبي دجانة البطل وهو مسوّر بنفسه على رسول الله، وكان لا يأبه لها مع أنها تغرز في ظهره بكثرة حتى أن بعض المؤرخين شبه ظهر أبي دجانة بظهر القنفذ.

وهنا الدرس.. فمن مهمات القائد أن يعرف أصحابه وإخوانه.. وأن يضع كل إنسان في الموقع المناسب.. استغرب الكثيرون أن يعطي رسول الله ﷺ السيف إلى أبي دجانة.. فهم لا يعرفونه.. ولكن القائد كان يعرفه.. ويعرف قدرته على الوفاء بما ندب نفسه إليه.

وكذلك على الدعاة أن يفعلوا.. أن يستكشفوا طاقات إخوانهم العاملين معهم.. ويضعوا كل طاقة في مجالها.

(42)

سعد بن الربيع

بعد انتهاء القتال في أحد.. بدأ رسول الله ﷺ يتفقد شهداء المسلمين.. وأمر النبي ﷺ أصحابه في التحقيق في مصير البطل سعد بن الربيع (أحد قادة الأنصار) أهو في الأحياء أم في الأموات؟ وانطلق محمد بن مسلمة الأنصاري يبحث عن سعد.. وبينما هو يتجول في أنحاء المعركة إذا به يجد سعداً مضرجاً بدمائه، تنزف جراحه بغزارة، يجود بنفسه على آخر رمق.

فانحنى عليه وأخبره بأن رسول الله ﷺ بعثه لتفقد حاله ومعرفة مصيره.. قال له سعد بصوت خافت: أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام. وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك (يعني الأنصار) عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلُص إلى نبيكم ﷺ وفيكم عين تطرف، قال محمد بن مسلمة: ثم لم أبرح حتى مات. قال فجئت رسول الله فأخبرته خبره.

إن جيشاً فيه أمثال سعد بن الربيع لا بد أن ينتصر.. وإن سعداً هذا هو ابن الإسلام الذي تربى على هذه الدعوة المباركة تحت إشراف النبي المربي.. بهذا الحب العظيم الذي انعقد بين الرعيل الأول والقائد، قام الصف وتلاحم وانتصر وسجل للعالمين ملحمة الإيمان، ملحمة العدد القليل يهزم بإيمانه العدد الكبير المدجج بالسلاح بإذن الله.

نلاحظ في هذه اللوحة المعبرة:

- اهتمام **القائد** بإخوانه.. يتفقدهم ويسأل عنهم.
- واهتمام **الجندي** بالدعوة.. حتى وهو يجود بأنفاسه الأخيرة.
- وثقة سعد **بالدعوة**.. وهي من أسباب النصر.

(43)

انفروا خفافاً وثقالاً

قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

انفروا في كل حال، وجاهدوا بالنفوس والأموال، ولا تتلمسوا الحجج والمعاذير، ولا تخضعوا للعوائق والتعلات، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون.

(1) سورة التوبة، الآية: 41.

وأدرك المؤمنون المخلصون هذا الخبر، فنفروا والعوائق في طريقهم، والأعذار حاضرة لو أرادوا التمسك بالأعذار. ففتح الله عليهم القلوب والأرضين، وأعز بهم كلمة الله، وأعزهم بكلمة الله، وحقق على أيديهم ما يعد خارقة في تاريخ الفتوح.

قرأ أبو طلحة رضي الله عنه سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال: أرى ربنا استنفرنا شيوخاً وشباناً، جندوني يا بني. فقال بنوه: يرحمك الله قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات، ومع عمر رضي الله عنه حتى مات، فنحن نغزو عنك. فأبى فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام، فلم يتغير، فدفنوه بها.

وروى ابن جرير (بإسناده) عن أبي راشد الحراني قال: وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله جالساً على تابوت من توابيت الصيارفة، وقد فضل عنها من عظمه يريد الغزو، فقلت له: قد أعذر الله إليك. فقال: أتت علينا سورة البعوث. (انفروا خفافاً وثقالاً).

وروى ابن جرير (بإسناده) عن حيان بن زيد الشرعبي قال: نفرنا مع صفوان ابن عمرو، وكان والياً على حمص فرأيت شيخاً كبيراً همًّا، قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار، فأقبلت إليه فقلت: يا عم لقد أعذر الله إليك. قال: فرفع حاجبيه فقال: يا ابن أخي استنفرنا الله، خفافاً وثقالاً، ألا إنه من يحبه الله يبتليه، ثم يعيده فيبقيه، وإنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر، ولم يعبد إلا الله عز وجل.

بمثل هذا الجد في أخذ كلمات الله، انطلق الإسلام في الأرض. يُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، وتمت تلك الخارقة في تلك الفتوح التحريرية الفريدة[1].

هذا فهم المسلمين الأوائل للأمر الرباني.. وهذه جديتهم في تنفيذه.. فهلّا

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب (3/ 1657).

يحافظ الدعاة اليوم.. على إرث أجدادهم المؤمنين فينفرون خفافاً وثقالاً، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.. فيستحقون أن يكونوا خير خلف لخير سلف...

(٤٤)

قصة خباب بن الأرت

عن أبي عبد الله خبّاب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا:

ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟

فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويُمشَطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدّه ذلك عن دينه، والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1].

دروس من القصة

تشير القصة إلى سنة من السنن الإلٰهية في:

◄ **الابتلاء**: فهو الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة التي تحمل الدعوة وتنهض بتكاليفها، وهو طريق التربية لهذه الجماعة وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال. ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عوداً، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها والصبر عليها ورفع راية النصر على أعدائها، وتختلف وسائل الابتلاء والفتنة باختلاف الزمان.. لكن القاعدة واحدة

(1) رواه البخاري.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

على هذا الأساس.. قال سيدنا رسول الله ﷺ وهو يلفت نظر الصحابي الجليل خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى هذه السنة الجارية: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ما يصده ذلك عن دينه**».

فهي سنة الدعوة فيهم وفيمن سبقهم وفيمن سيأتي بعدهم من المؤمنين.

ولا تبديل لسنة الله.

◄ **والنصر**: ويتناول الحديث سنة الله في النصر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[4].

فإذا استقرت حقيقة الإيمان في النفوس، فصبروا على الابتلاء، وتجردوا لله، وأقاموا الإسلام في أنفسهم وفي واقعهم.. جاءهم نصر الله.

على هذا الأساس.. قال سيدنا رسول الله ﷺ لخباب بن الأرت رضي الله عنه يلفت نظره إلى هذه السنة الربانية: «**والله ليتمّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء حتى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**».

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾.

والنصر الأخير مرتبط بالنصر الأول، فما يتحقق النصر في عالم الواقع إلا

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 186.
(2) سورة محمد، الآية: 31.
(3) سورة آل عمران، الآية: 200.
(4) سورة محمد، الآية: 7.

بعد تمامه في عالم الضمير، وما يستعلي أصحاب الحق في الظاهر إلا بعد أن يستعلوا بالحق في الباطن[1].

سنن ربانية في الابتلاء والنصر..

بيّنها الهدي الرباني.. وطبقها الرعيل الأول بإشراف النبي الأمين ﷺ.. وعلى الخلف المؤمن أبناء الحركة الإسلامية أن يفهموا السنن.. فيثبتوا.. لينتصروا.

(45)

بين سلمان وأبي الدرداء

عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة[2]. فقال: ما شأنك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا.

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كلْ فإني صائم.

قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. فقال له: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم. فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصليا جميعاً.

فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه.

فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[3].

---

(1) طريق الدعوة في ظلال القرآن، سيد قطب، ص: 355.

(2) غير معتنية بمظهرها.

(3) رواه البخاري.

دروس من القصة

في هذه القصة التي جرت حوادثها في المدينة المنورة بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء اللذين آخى رسول الله بينهما.. درس عظيم يحتاج إليه الدعاة المسلمون.. فمن خصائص المنهج الإسلامي في التربية: التوازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]. وسطاً في كل شيء، متوازنين في كل ما تقومون به. لقد صانت هذه الخاصية الفريدة المسلم من الاندفاعات هنا وهناك، والغلو هنا وهناك، والتصادم هنا وهناك، لأن هذه الآفات لم يسلم منها أي تصور آخر سواء التصورات الفلسفية، أو التصورات الدينية التي شوهتها التصورات البشرية بما أضافته إليها أو أنقصته منها أو أولته تأويلات خاطئة، وأضافت هذا التأويل إلى صلب العقيدة[2].

إن استغلال الإنسان لطاقاته جميعاً بشكل متوازن، يحدث توازناً في داخل النفس وفي واقع الحياة سواء. فالتوازن في نظر الإسلام يشمل كل نشاط الإنسان، توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته.. توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس، توازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازن بين النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، توازن في كل شيء في الحياة[3].

ولم يزد سيدنا رسول الله ﷺ على مطالبة سلمان رضي الله عنه لأخيه أبي الدرداء رضي الله عنه بأن يقيم التوازن بين حق ربه، وحق نفسه، وحق أهله.. لم يزد ﷺ على قوله: «**صدق سلمان**».

هكذا كان الصف المسلم يتصرف.. بعد أن استكمل رسول الله ﷺ تربيته لهم.. وعلى الخلف أن يقتدي بسلفه.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 143.

(2) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص: 114.

(3) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب (1/ 27).

(46)

قسمة ما عدل فيها!

دخل رسول الله ﷺ مكة في اليوم العشرين من رمضان، سنة ثمان من الهجرة الموافق كانون الثاني (يناير) (630م)، وظل بها قرابة عشرين يوماً يرتب شؤونها، ويخرجها من جو الوثنية والأصنام إلى أجواء الوحدانية والإسلام.

وكأنما عزّ على هوازن وثقيف أن تدور عليهم الدائرة، وأن ينالهم ما نال قريشاً من تبديل دينها وتهديم أصنامها، ومن خضوعها لسلطان الإسلام بعد ما كان من عزها وسؤددها، فاتفق رأيهم على أن يبادروا محمداً بالغزو قبل أن يبادرهم..

وسمع رسول الله ﷺ بما أعدت هوازن وثقيف، فلما تبين له صدق ما عزموا عليه، أراد أن يفاجئهم قبل أن يفاجئوه، فخرج من مكة في السادس من شوال الموافق 28 كانون الثاني (يناير) (630م) قاصداً هوازن وثقيف، في اثنتي عشرة ألفاً من الرجال: عشرة آلاف التي جاء بها إلى مكة، وألفان من أهلها.. فخرج الجيش في مظهر بالغ القوة، حتى ظن بعض المسلمين أن لن يغلبوا مع هذه الكثرة.

ولقد صور القرآن الكريم أحداث الغزوة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

واضطرب الجيش الإسلامي حين فاجأهم العدو بالسهام تنحط عليهم في الظلام من كل فج، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وولوا منهزمين..

---

(1) سور التوبة، الآيتان: 25 - 26.

ووقف رسول الله ﷺ وجعل يصيح بالناس: «**أين أيها الناس؟ هلموا إلي! أنا رسول الله! أنا محمد بن عبد الله! أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب..**».

واجتمع حول رسول الله ﷺ طائفة من الرجال الصادقين في عزائمهم وفي إيمانهم.. وحملوا على العدو.. وانقلبت موازين المعركة مرة أخرى لصالح المسلمين.. وغنم المسلمون من عدوهم شيئاً كثيراً. فكانت أربعة وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، وستة آلاف من النساء والبنين. فاستأنى رسول الله بالسبي، وبدأ بالأموال فقسمها بين الناس.

ولما كانت النفوس طُلَعَةً إلى المال، وكان البذل والعطاء مفتاحاً من مفاتيح القلوب، ومدخلاً من مداخل النفوس، فقد أجزل رسول الله ﷺ العطاء لنفر من أشراف قريش ومن سادات العرب وأمرائها، يريد بذلك أن يتألف قلوبهم إلى الإسلام، فقد علم رسول الله ﷺ أن كثيراً ممن أسلم من هؤلاء السادة، لا يزال حديث العهد بجاهليته، وأن كثيراً ممن لم يسلم إنما خرج معه طمعاً في الغنيمة، فما زال يستعين على تأليف قلوبهم بالعطاء، حتى أسلم من لم يكن أسلم، واطمأن إلى الإسلام من كان قد أسلم.

أبو سفيان بن حرب زعيم قريش يقول وقد رأى الجيش الإسلامي يندحر أمام جيش المشركين: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر.

أبو سفيان هذا، جاء إلى النبي وهو يوزع الغنائم والفضة بين يديه فقال: يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً.. فتبسم رسول الله ﷺ. قال أبو سفيان: أعطني من هذا يا رسول الله.. فقال: «**يا بلال، زن لأبي سفيان أربعين أوقية، وأعطوه مائة من الإبل**»، فقال أبو سفيان: ابني يزيد.. قال: «**زنوا ليزيد أربعين أوقية، وأعطوه مائة من الإبل**». فقال أبو سفيان: ابني معاوية يا رسول الله.. قال: «**زن له يا بلال أربعين أوقية، وأعطه مائة من الإبل**». فقال أبو سفيان: إنك لكريم، فداك أبي وأمي! والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت! جزاك الله خيراً[1].

(1) صور من حياة الرسول، أمين دويدار، ص: 542 - 550، باختصار.

وهكذا تغير أبو سفيان من شامت بالهزيمة.. إلى إنسان يطلب الغنيمة.. فلما أعطي أكثر مما كان يتوقع تغيرت لهجته، ورقت كلمته، وقال لرسول الله: فداك أبي وأمي.. جزاك الله خيراً..

وجرى المشهد ذاته مع صنديد آخر من صناديد الشرك صفوان بن أمية، وكان طلب من النبي أن يجعله بالخيار شهرين.. رآه يرمق شِعباً مملوءاً نَعَماً وشاءً فقال له: «**أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟**» فقال: نعم. فقال: «**هو لك بما فيه**». فقال صفوان: إن الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا.. ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نبي! أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

تغير صفوان.. من خصم عنيد للإسلام.. خاف على نفسه يوم الفتح، ففرّ إلى البحر، ثم أمنه رسول الله ﷺ.. وطالب النبي بأن يجعله بالخيار شهرين. تغير الرجل وقال: ما يفعل ذلك إلا نبي.. وشهد شهادة الإيمان بالله ورسوله.

الأنصار تجد على رسول الله ﷺ

ولم تُفهم هذه السياسة أول الأمر، وكان الأنصار ممن وقعت عليهم مغارم هذه السياسة، لقد حرموا جميعاً أعطية حنين، وهم الذين نودوا وقت الشدة فطاروا يقاتلون مع الرسول ﷺ حتى تبدل الفرار انتصاراً، وها هم أولاء يرون أيدي الفارين ملأى، وأما هم فلم يمنحوا شيئاً قط[1] وتباينت ردود فعل الأنصار..

◄ فمنهم من تحدث بما لا يليق بمقام النبوة.. أخذتهم العزة الكاذبة وحمية الجاهلية.. فقال بعضهم: إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله[2].

وقال رجل من بني تميم يقال له ذو الخويصرة، موجهاً كلامه إلى النبي ﷺ: لم أرك عدلت، اعدل[3].

---

(1) فقه السيرة، محمد الغزالي، ص: 298.
(2) رواه الشيخان.
(3) رواه الشيخان.

وغضب رسول الله ﷺ. وقال: «**ومن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[1].

قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: «**معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي**»[2].

هؤلاء نفر هم أقرب إلى النفاق.. فما إن رأوا أمراً لم يفهموه، حتى أساءوا الظن، وشككوا بالنوايا، وأغلظوا القول، ووجهوا الاتهام، ويترفق بهم رسول الله ﷺ.. ويكتفي بالقول: «**لقد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر**»..

◄ وفريق ثان.. لم يفهموا سياسة النبي ﷺ.. فقالوا: (وددنا أن نعلم ممن كان هذا، فإن كان من أمر الله تعالى صبرنا، وإن كان من رأي رسول الله ﷺ استعتبناه)[3]، أدب جمٌّ مع الله ورسوله.. فإن كان أمراً أنفذوه وإن كان اجتهاداً من النبي استعتبوه.

◄ وفريق ثالث من الأنصار لم يفهموا سياسة النبي كذلك، وجعلوا يتهامسون القول فيما بينهم.. عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي - والله - رسول الله قومه! فدخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم، قال: «**فيم؟**».

قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء، فقال رسول الله ﷺ: «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟**» قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي، فقال رسول الله ﷺ: «**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فإذا اجتمعوا فأعلمني**».

---

(1) رواه الشيخان.
(2) رواه الشيخان.
(3) رواه الشيخان.

يا معشر الأنصار

فخرج سعد يصرخ فيهم، حتى جمعهم فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «**يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله تعالى؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟**» قالوا: بلى والله ورسوله أمن وأفضل.

ثم قال: «**ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟**» قالوا: وبماذا نجيبك؟ المن لله تعالى ولرسوله ﷺ قال: «**والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقْتم وصُدِّقْتُم، أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك..**» فسكتوا. فقال رسول الله ﷺ:

«**أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار! اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**».

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا بالله ورسوله حظاً وقسماً[1].

دروس وعبر

من هذه الحادثة ندرك أن من يكون في موقع المسؤولية ستكون قراراته محط أنظار الجميع، خصوصاً عندما تكون هذه القرارات على خلاف المألوف، ومواقف أفراد الجماعة منها ستتخذ إحدى صور ثلاث:

◄ **مجموعة تثق بالقيادة** وحكمتها ثقة مطلقة، فتقبل بتصرفها حتى لو حارت فيه ولم تستطع أن تفهم مبرراته. وستعمل على كبح جماح من لا يتقبل هذا

(1) صور من حياة الرسول (المرجع السابق)، ص: 552.

التصرف ويبدي تذمره منه. (وهذا النوع يندر وجوده، إلا عندما تكون الإمرة بيد رسول معصوم) وقد تمثل هذا الموقف في فقهاء وحكماء الأنصار.

◄ **ومجموعة ثقتها بالقيادة** لم ترق إلى مستوى الجماعة الأولى، لأن فيها من البساطة أو الحداثة في السن أو الحداثة في الانتماء للجماعة ما يجعلها تعرّض بهذا التصرف، وترفع صوتها مطالبة بتوضيح ما خفي عليها من الأمر، وتصرّ على تقديم المبررات للتصرف غير المألوف حتى تطمئن.

◄ **ومجموعة لا تثق بالقيادة**، ولم تنتسب للجماعة إلا طمعاً في مغنم، أو كسباً لجاه، أو طموحاً لموقع، ولم يلامس الإيمان الصادق قلبها. تظهر عكس ما تبطن، وتتربص بالجماعة وقيادتها الدوائر، فإذا ما سنحت لها الفرصة أطلقت لألسنتها العنان، وراحت تتهم وتحرض، وتجهر بالقول السيىء.. ويعلمنا رسول الله ﷺ القائد القدوة.. كيف نتصرف في مثل هذه المواقف:

1 - **على الأفراد** عندما لا يستطيعون فهم مبررات أي قرار يصدر عن القيادة أن لا يتسرعوا في الأقاويل، وأن لا يسيئوا الظن، بل يطلبوا من مصدر القرار أن يوضح لهم ما التبس عليهم.

2 - **وعلى المسؤول** عندما يصدر القرار أن يحرص - ما أمكن - على توضيح مبررات هذا القرار ودوافعه وأسبابه، حتى لا يحصل لبس في فهمه، فيؤدي إلى مشكلة.

3 - **وعلى من أنعم الله عليهم بعقل راجح** وفهم مميز وخبرة في العمل وثقة في المسؤول أن يكبحوا جماح من يكونون حديثي سن أو حديثي عهد فيما قد يبدر منهم من تصرفات في غير محلها.

4 - **وعلى من يكون في موقع المسؤولية** أن يهتم بمعالجة أي قضية في وقتها، وأن يسرع في حلها، وخصوصاً عندما تصدر عن مجموعة ليست موضع شك في صدق انتمائها وتوجهها، وأن يغفر الزلات، ويشحذ الهمم ويذكر بالفضائل، ويحيي المعاني الإيمانية، ويطالبهم بالترفع عن الأهواء وأمور الدنيا التي لا تساوي عند المسلم المؤمن شيئاً بالنسبة لما يأمله من رضا الله والفوز بالآخرة.

5 - **وعلى من يسمع لغطاً في الصف**، أو مطعناً في تصرفات القيادة أن يبادر إلى إعلامها بذلك، حتى تستدرك الأمر، وتعالجه في حينه، ولا يعد هذا من قبيل النميمة المذمومة المحرمة على المسلم، بل هي من قبيل حفظ صف الجماعة، ووجوب أن تعلم القيادة ما يدور في الصف من أمور تخصها، وتؤثر على تماسك الصف ووحدته.

هكذا عالج النبي ﷺ قالة السوء في الصف المسلم..

وهكذا فليفعل الدعاة على مرّ التاريخ لحفظ الصف وصيانته.

(47)

قزمان يقاتل عن أحساب قومه

ذكر ابن اسحاق قال: كان عندنا رجل غريب يقال له قزمان، وكان ذا بأس وقوة، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر له يقول: «**إنه من أهل النار**».

فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالاً شديداً، ويقال إنه أول من رمي من جانب المسلمين بسهم في المعركة، وكان يرمي بالنبال كأنها الرمال، ثم فعل بالسيف الأفاعيل، ولقي المشركون منه الأهوال. ذكر ابن كثير أن قزمان جرح جراحات كثيرة في المعركة يوم أحد، فحمل إلى داره بالمدينة، وكان المسلمون يغدون عليه ويقولون: أبشر قزمان. فيقول لهم: بم أبشر؟ وأنا ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، لم أقاتل على دين.. ولكني قاتلت قريشاً حتى لا تطأ أرضنا..

وعندما اشتدت الآلام على قزمان، أخذ سهماً من كنانته فقطع بهما رواهشه (شريان باطن الذراع) فنزف حتى مات.

هذه الحادثة.. تذكرنا بالفعل الجليل: قتالٍ وجهاد، أو صدقة وعطاء، أو دعوة وداعية.. كل ذلك لا يستفيد منه الإنسان إن لم يكن فعله في سبيل الله.

سأل الصحابة النبي المعلم فقالوا: يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم،

ويقاتل للذكر، ويقاتل ليرى مكانه أيهم في سبيل الله؟ قال رسول الله: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**».

فليحذر الدعاة من أن يكون نصبهم وتضحيتهم وسعيهم في سبيل الدنيا.. فيكون مصيرهم كمصير قزمان الذي دافع عن أحساب قومه.

(48)

خديجة الكبرى مثلهن الأعلى

كان محمد ﷺ بعيداً عن ترهات قومه، حبب إليه الخلاء، فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلى غار حراء في جبل النور يتحنث ويتعبد ويتفكر في ملكوت السمٰوات والأرض، وفيما وراءها من قدرة مبدعة.

وكانت خديجة تؤمن له الهدوء الشامل، والاستقرار الكامل، تأخذ له الطعام إلى الغار إذا أبطأ عنها.. وتكلؤه بحبها إذا حضر إليها، كانت مقتنعة بعمله.. مدركة بفطرتها السليمة أن لزوجها شأناً عظيماً..

وعلى رأس الأربعين عاماً، جاء الحق محمداً وهو في غار حراء، جاءه الملك فقال: اقرأ.

فقلت: «**ما أنا بقارىء**»،

قال: «**فأخذني فضمني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ،**

فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[1].

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة، فقال: «**زملوني زملوني، لقد خشيت على نفسي يا خديجة**».

---

(1) سورة العلق، الآيات: 1 - 5.

وتواجه خديجة العظيمة الموقف الكبير بمفردها، فلا تجزع ولا ترتبك ولا تتردد.. بل وتخاطب الزوج الخائف وتقول:

كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. أبشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ولا تكتفي بذلك التطمين الأوليّ لتثبيت القلب الخائف.. فتأخذ بيده إلى ابن عمها ورقة بن نوفل.. وكان شيخاً كبيراً تنصر في الجاهلية.. فتقول له: «يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا هو الناموس الأكبر نزّله الله على موسى، ليتني فيها جَذَعَاً أنصرك حين يخرجك قومك، ولئن أدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً[1].

والسؤال هو: هل هناك شجاعة أعظم، أو حكمة أبلغ، أو موقف أكرم من فعل خديجة هذا وموقفها..؟

ألا تستحق أن تكون مثلهن الأعلى..؟

في لوحتنا إشارات تستحق الانتباه:

◄ كلمة اقرأ.. فاتحة التعاليم الإلٰهية.. ألا تعني الكثير للمسلمين؟ وهل استمر المسلمون في قراءتهم باسم ربهم الذي خلق لتبقى حضارتهم حضارة هداية.. لا حضارة استعلاء وغواية؟

◄ ألا تشير مقولة ورقة: ليتني فيها جذعاً أنصرك حين يخرجك قومك، إلى أن المحنة هي سُنّة الدعوات؟.

◄ ومن ثم.. ألا تكشف القصة عن دور أم المؤمنين خديجة الرائد في صيانة الدعوة وحماية القائد.. وتشكل بذلك دعوة للأخت المسلمة في كل عصر ومصر بأن تنهج هذا النهج؟

---

(1) رواه الشيخان.

(49)

أم المؤمنين عائشة وحديث الإفك

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾[1].

وحديث الإفك، الذي تناول بيت النبوة الطاهر الكريم، وعرّض رسول الله ﷺ أكرم إنسان على الله، وعرّض صديقه الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه أكرم إنسان على رسول الله ﷺ، وعرّض رجلاً من الصحابة هو صفوان بن المعطل رضي الله عنه يشهد رسول الله أنه لم يعرف عنه إلا خيراً.. ويشغل المسلمين في المدينة شهراً من الزمان..

هذا الحادث.. قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، وعلق قلب رسول الله وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان.. شهراً كاملاً. علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

---

(1) سورة النور، الآيات: 11 - 20.

ونحن هنا، نريد التعليق باختصار على موقف أمنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها.. في خضم هذا الحدث الجلل.

◄ لقد أراد المرجفون النيل من الإسلام ومن صاحب الرسالة فاختاروا هدفهم في شخص السيدة عائشة بنت الصديق. فقد كانت شخصية هامة على كل الأصعدة: الأقرب من قلب رسول الله، والأفقه في دين الله، ومن بيت الصديق أقرب المؤمنين إلى رسول الله، ترعى المسلمات اجتماعياً، صاحبة رأي وفكر.. ومن هنا فإن تسديد الهدف لهذه الشخصية الكبيرة سيكون ذا وقع كبير وتأثير شديد على الإسلام وعلى صاحب الرسالة.

◄ كانت عائشة، وهي الجارية حديثة السن، حكيمة في تناولها للموضوع فلم تحاول إثبات براءتها بالكلام.. فما جدوى ذلك أمام حديث تناقله الناس وصدقه من صدقه «فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقونني.. ولا أقول إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1]».

◄ عائشة البريئة.. كانت تدرك أن الله تعالى مبرئها.. ولكنها لم تتوقع أن ينزّل الله تعالى في شأنها قرآناً يتلى. «ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها».. وهكذا رفع القرآن من مكانة المرأة، واهتم رب العزة لقضيتها.. وأنزل فيها قرآناً يتعبد المسلمون بقراءته إلى ما شاء الله.. فبعد أن كانت المرأة في أنحاء الدنيا في جاهلية العرب وخارجها إنساناً هامشياً لا يحسب له أحد حساباً.. إذا به تنشغل السماء بمظلمته.. وينزل القرآن.. يبرىء صاحبة هذه المظلمة.

◄ واستعلت عائشة بالوسام القرآني.. وكانت تفخر أبداً بقولها: «أنا التي أنزلت براءتي من السماء».

ولم يكن وساماً لصدر أمنا عائشة فحسب، بل ولصدر جميع بناتها المسلمات الداعيات في كل مصر وعصر.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 18.

(50)

أم المؤمنين أم سلمة

أخرج ابن إسحاق عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما أجمع أبو سلمة رضي الله عنه الخروج إلى المدينة رحّل لي بعيره، ثم حملني عليه وجعل معي ابني سلمة في حجري ثم خرج يقود بي بعيره. فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا:

هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه.

قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد (رهط زوجي)، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها.

قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي.

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريباً منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمّي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني.

فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وولدها؟

قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت.

قالت: فرد بنو أسد إليّ عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلت بعيري. ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله.

هذه صورة أخرى بطلتها الصحابية الجليلة أم سلمة، زوجها عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة، ابن عمة رسول الله، من أوائل من آمن بدعوة الإسلام، فأسلم وأسلمت زوجته هند بعده مباشرة. قاست هذه الأسرة المؤمنة مثل بقية المسلمين في مكة، أشد أنواع الاضطهاد، وحاولت قريش بشتى الوسائل أن تفتنهم في دينهم وأن تردهم عن الإسلام. ولما أذن رسول الله للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، كانت هند وزوجها من أوائل المهاجرين، وفي الحبشة ولدت هند لزوجها ابنها سلمة.

وجاءت الأخبار إلى المهاجرين بأن الإسلام انتصر في مكة وأن أعداداً كبيرة من القرشيين دخلوا الإسلام. وعاد أبو سلمة وزوجه مع نفر من المهاجرين إلى مكة.. ليجدوا أن الأخبار التي وصلتهم غير صحيحة وأن قريشاً ضاعفت من إيذاء المسلمين.. وأنها علقت صحيفة في جوف الكعبة تعاهدت بموجبها على أن لا تتعامل مع بني هاشم الذين انضموا إلى محمد وضربت عليهم حصاراً اقتصادياً وحاصرتهم جميعاً في شعب أبي طالب. وإذ عاد نفر من المهاجرين ثانية إلى الحبشة فإن أبا سلمة دخل في جوار خاله أبي طالب وبقيت أم سلمة إلى جانب زوجها في مكة تقاسي ما يقاسي من الآلام والعذاب.. حتى كانت بيعة العقبة والإذن بالهجرة إلى المدينة فكان أبو سلمة وأم سلمة أول من تهيّأ للهجرة.. وكان المشركون لهم بالمرصاد، فهم ما زالوا يطمعون في تحويلهم عن دينهم إلى عبادة الأوثان.. منعوها من مرافقة زوجها وانتزعوا منها وليدها، وحبسوها وحيدة.. وصمدت أم سلمة واحتسبت كل عذاباتها في سبيل الله. احتسبت بعدها عن فلذة كبدها الوحيد.. وعن زوجها رفيق دربها عبد الله.

اللوحة هذه درس تقدمه الداعية العظيمة أم سلمة لأخواتها المسلمات خلاصته:

إن الأرض والوطن، والابن والزوج، والعشيرة والقرابة.. كل هذه المعاني وإن كانت شديدة الالتصاق بالإنسان.. فإن الداعية المؤمنة تتركها إذا وضعت في الميزان مع إيمانها وعقيدتها.

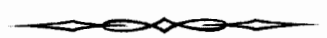

(51)

الصلاة جامعة

عن عبد الله بن رافع قال: كانت أم سلمة تحدث أنها سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر - وهي تمتشط -: «**أيها الناس**»، فقالت لماشطتها: استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء. فقالت: إني من الناس[1].

ما زال الكثيرون يتحفظون عند الحديث عن حقوق المرأة السياسية.. وإذا كان الفقهاء قد أقرّوا بأهلية المرأة أهلية كاملة في الولاية الذاتية والمتعدية على الأموال، والولاية المتعدية على الغير كالحضانة والوصاية، إلا أن بعضهم ما زال يتحفظ على أهليتها لممارسة العمل السياسي، وكأنهم يرونها ناقصة الأهلية في هذا المجال.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2]. لقد أثبت الله تعالى (في هذه الآية) للمؤمنات الولاية المطلقة مع المؤمنين، فيدخل فيها ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي، وولاية النصرة الحربية والسياسية. وفي مسيرة الدعوة الإسلامية وأحداثها الكبرى كالهجرة وبيعة العقبة الأولى والثانية وغيرها، كان للمرأة دور سياسي كدور الرجل.. يومها لم يكن أحد يتساءل عن دور المرأة.. وعن حقوقها فقد حررها الإسلام وأطلقها تعمل بكل طاقتها لإشادة البناء الإسلامي العظيم.

في الحديث عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: فلما انقضت عدتي سمعت نداء منادي رسول الله ﷺ ينادي: (الصلاة جامعة) فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم[3].

---

(1) رواه مسلم.

(2) سورة التوبة، الآية: 71.

(3) رواه مسلم.

بعضهن قلن لها: إنما يعني الرجال. فقالت أختنا فاطمة: إنما يعني الناس وأنا من الناس.

الصلاة جامعة.. تعني المرأة كما تعني الرجل، كلهم يتسابقون إلى المسجد لسماع توجيهات وتعاليم الرسول ﷺ. هكذا رباهم رسول الله ﷺ رجالاً ونساءً شباباً وشابات.. أعضاء عاملين في حقل الدعوة.. وهكذا ينبغي أن يفعل المربون اليوم..

(52)

لو مزجت بماء البحر لمزجته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية كذا وكذا - قال بعض الرواة: تعني قصيرة - فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[1].

وهذه صورة مكررة ومعروفة. حتى صار يضرب بها المثل فيقال: أحاديث النساء!.

وما أحاديث النساء؟.

حديث عن المطاعم والمشارب، وعن اللباس والخدم والنزهة والأسواق، وعما يدور في البيوت مما يحرم تناقله.. ويصاحب ذلك كله أحاديث الغيبة والنميمة وتجريح الأخريات والنيل منهن. وستقول المسلمات: إذا كانت أمنا عائشة رضي الله عنها فعلت ذلك وقالت في أم المؤمنين صفية رضي الله عنها قولاً لو مزج بماء البحر لأنتنه.. فما بالنا نحن؟

والذي نريد أن نذكره هنا أن الاقتداء يكون بالأمر العظيم وبالقول الصحيح، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بها.. فإذا أخطأت أمنا عائشة رضي الله عنها في قولها هذا.. فهو ليس مبرراً لأن نخطىء نحن من بعدها..

---

(1) قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

والأمر الآخر.. أن الداعية المسلم من ذكر وأنثى لن يخرج من هذا الإطار، ولن يتجاوز مستوى أحاديث البيوت والضرائر! حتى يصعد اهتماماته، ويرفع من مستوى قضيته.

فالإنسان يكبر مع قضيته، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. فإذا أصبحت قضية المسلمين الشغل الشاغل لكل مسلم ومسلمة.. وأصبحت قضية الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أولى واجبات كل أخ وأخت..

عندها لن يبقى عند أحد الوقت أو الاستعداد لإضاعة العمر في كلام فارغ.. أو في حديث غيبة وهي من الكبائر..

هكذا كان يوجه النبي ﷺ أتباعه.. يحذرهم ويعلمهم.

وكذلك فليفعل المربون.

(53)

وما أردت أن تعطيه؟

عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه؟**» قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**»[1].

◄ **والكذب يهدي إلى الفجور** ويوصل إلى النار، يقول رسول الله ﷺ: «**إياكم والكذب، فإنه مع الفجور وهما في النار**»[2].

◄ **والكذب نفاق في القلب** وخيانة في الحديث، قال رسول الله ﷺ: «**كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت به كاذب**»[3].

---

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه ابن ماجه والنسائي وإسناده حسن.

(3) رواه البخاري.

◄ **والكذب انحراف في فطرة الإنسان**، ورذيلة تنبىء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك شاذ ينشىء الشر ويدفع إلى الإثم من غير ضرورة، قال رسول الله ﷺ: «**يطبع المؤمن على الخلال كله إلا الخيانة والكذب**»[1].

وقد سئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: «**نعم**»، قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «**نعم**»، قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: «**لا**»[2]. وهذا الأمر بالذات هو الذي كان يمنع البعض حتى في الجاهلية من الكذب، فالكذب يتنافى مع الطبع السليم والفطرة القويمة.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان من خلق أشد على أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع على الرجل من أصحابه على الكذب، فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها[3].

كان رسول الله ﷺ وهو يربي الجيل المسلم، وينشىء المجتمع المسلم، ويقيم الدولة المسلمة، يحرص كل الحرص على سلامة اللبنات التي يقيم بها البنيان.

يوصي النبي ﷺ أصحابه فيقول: «**تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه، فإن فيه النجاة**»[4].

ويحذرهم من بشاعة الكذب فيقول: «**إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به**»[5].

وحتى ضمائرهم نظفها من الظنون والريبة فقال: «**إياك والظن فإن الظن أكذب الحديث**»[6]. وقال أيضاً: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**»[7].

---

(1) رواه الإمام أحمد.
(2) رواه الإمام مالك.
(3) رواه الإمام أحمد.
(4) رواه ابن ماجه.
(5) رواه الترمذي.
(6) رواه الترمذي.
(7) رواه البخاري.

وإذا كانت التربية تبدأ بالطفل.. فقد شدد رسول الله ﷺ على الأمهات، فهنّ مسؤولات عن هذه الأمانة التي جعلها الله تحت أيديهن.. يزرعن فيهم الخلق الفاضل.. ويقتلعن السلوك الباطل.. ويتعهدن الأبناء بالتوجيه السليم.. ويكنّ القدوة الحسنة.. فقد يغفر الطفل للآخرين ولكنه لا يغفر أبداً أي انحراف في سلوك القدوة التي هي الأم والأب والمربي والقائد..

لهذا.. فعندما أراد الإسلام لهذه النبتة الصغيرة أن تنمو وترشد.. علّم الأمّ كيف تسلك وتربي..

وفي الحادثة التي بين أيدينا.. يحذر رسول الله ﷺ الأمهات من أن يكذبن على أبنائهن.. حتى في الأمور التي تظنها الأم من الصغائر ومن لغو الحديث.. حتى الكُذيبة تكتب كُذيبة[1].

وهكذا بدأ الجيل يتحرى الحق ويقول الصدق ويبتعد عن الكذب وينفر منه.. فاستطاع بذلك أن يبني حضارة إنسانية عظيمة يفيء الإنسان إلى ظلها فيعيش حياة سعيدة كريمة..

هكذا كان رسول الله ﷺ يغرس مبادىء التربية القويمة في النفوس..

وكذلك فليفعل المربون..

(54)

أم كلثوم بنت عقبة

أسدل الليل أستاره على مكة ولفها السكون، ولم تهدأ عينا أم كلثوم بنت عقبة وظلت تحدث في الظلام وتشعر بكثافته وثقله وكأنه يحاول أن يتغلغل في أعماقها ويتسلل إلى روحها ليطفىء ما انبعث بداخله من نور.

بالأمس القريب كانت تأتنس بقرب رسول الله ﷺ وصحابته منها، صحيح

(1) رواه مسلم.

أنها لم تعلن إسلامها على الملأ خشية بطش أبيها عقبة بن أبي معيط وأخويها عمارة والوليد وهم من أشد الكفار عداوة لدعوة رسول الله ﷺ يغرهم ما لهم من قوة ومنعة ومكانة في قريش، وكان عزاؤها أنها تظلها مع إخوانها المؤمنين سماء مكة وتتنفس هواء يحمل شذا القرآن الكريم وتعطره أنفاس الرسول ﷺ وأحاديثه، كما كانت تلوذ بأمها (أروى بنت كريز بن ربيعة) فتسمع منها ما يثبت فؤادها ويثلج صدرها من أخبار أخيها لأمها ذي النورين (عثمان بن عفان) رضي الله عنه.

أما اليوم وبعد هجرة الرسول ﷺ وصحابته إلى يثرب، فهي تشعر أنها قد أضحت أسيرة في مكة التي أقفرت وانطفأت بهجتها وسادها ظلام الكفر والجاهلية، وزاد أمرها رهقاً ما سمعته عن إبرام (صلح الحديبية) بين الرسول ﷺ ومشركي قريش وكان من بين شروط الصلح أنه من جاء من مكة مهاجراً يرده المسلمون إلى المشركين ومن جاء إلى مكة من المسلمين فلا يرده المشركون، وأوقف هذ الشرط الهجرة من مكة إلى يثرب وأغلق باب الأمل الأخير في وجه (أم كلثوم).

وبينما هي تفكر في أمرها ورد إلى خاطرها هاجس، أن أخويها عمارة والوليد يتوجسان منها ويشكان في أنها تابعت أمها وأخاها عثمان وأسلمت، فماذا لو جاءها أحدهما غداً بأحد أصدقائه من صناديد الكفر في قريش ليفرضه عليها زوجاً؟

ولا طاقة لها وحدها بمواجهتهم بإيمانها ورفضها لما هم عليه من شرك وجهالة. ألمَّ الحزن بقلب أم كلثوم وتوجهت إلى الله، بالدعاء في صلاتها، فدعته أن يفرج كربتها ويجعل لها مخرجاً، ولم تيأس من رحمة الله وبعد أن قلبت الأمر على كل وجه لم تجد أمامها من سبيل إلا الهجرة واللحاق برسول الله ﷺ وبمن سبقها من المؤمنين.

ولكن كيف تهاجر - وهي امرأة - وحدها في طريق محفوف بالمخاطر والصعاب، وهيأ الله لها مخرجاً فقد علمت أن أحد المسلمين - من خزاعة - يريد الهجرة ولا يملك ناقة ولا زاداً فاتفقت معه على أن تعد له الزاد والناقة

ويكون صاحبها ودليلها وحارسها في رحلتها الشاقة. وفي الموعد المحدد كان الرجل الخزاعي في انتظارها وسار بناقته أمامها وهي من خلفه، وأخيراً لاحت لأعينهما أنوار مدينة رسول الله ﷺ وغسلت الفرحة بلقاء الأحباب ومجاورة الرسول ﷺ كل ما سبقها من أدران الأحزان، ولكن الفرحة لم تدم طويلاً فسرعان ما لحقها أخواها عمارة والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وزلزلت أصواتهما - وهما يطالبان الرسول ﷺ برد أختهما طبقاً للشروط التي تضمنها صلح الحديبية - نفسَ أم كلثوم.

وفاضت دموعها وهي تدعو: يا إلهي هل أعود معهما ليصلياني عذاباً تتأجج نيرانه في عيونهما، وتفوح رائحته من نبرة صوتيهما، وغلظ قلوبهما الذي أعرفه جيداً، هل أترك واحة الإيمان والسلام إلى جحيم الكفر والعصيان؟ وعلا صوتها: اللهم ارحم ضعفي وأدم علي نعمة الأمن والإيمان، وتوجهت إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله إنني امرأة وحال النساء إلى الضعف وأخشى إن رجعت إلى مكة أن يفتنوني في ديني ولا صبر لي.

ولم يجد رسول الله ﷺ ما يجيبها به، فالصلح يلزم بردها وقد رد رجالاً قبلها و ستجاب الله لدموع رجائها ونزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وامتحنها رسول الله ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان يمتحنهن: بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله.

وامتحن النبي ﷺ (أم كلثوم) فقالت: والله ما أخرجني من مكة إلا حب الله

(1) سورة الممتحنة، الآية: 10.

ورسوله والإسلام، ورددت الشهادتين، فلما تيقن صدق إيمانها رفض أن يردها إلى المشركين فقد حكم الله بعدم ردها. وبهذا تكون أم كلثوم بنت عقبة هي أول من هاجرت ناقضة لشرط صلح الحديبية الجائر وفتحت الباب على مصراعيه أمام غيرها من النساء للهجرة بعد أن حكم الله ﷻ بعدم ردهن وأنزل في شأنها قرآناً يتلى عبر القرون وإلى يوم القيامة.

هكذا أصبحت المرأة المسلمة، بعد أن حرّرها الإسلام، صاحبة تفكير وتقدير، ومبادرة وعمل، ومنطق سليم تنافح به الظلم والظالمين.. وكذلك أخواتنا العاملات في حقل الدعوة.. لا بد أن يكن كذلك.

هكذا فعلت التربية النبوية..

وعلى المربين أن يتلمسوا الطريق.

(55)

إن كان في الجنة صبرت

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن حارثة بن سراقة رضي الله عنه قُتل يوم بدر. فجاءت أمه فقالت:

- يا رسول الله أخبرني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت، وإلا فليرينّ اللهُ ما أصنع. فقال لها رسول الله: «**ويحك أَهَبِلتِ؟ إنها جنان ثمان، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[1].

وهذه لوحة أخرى تصور لنا المرأة المسلمة الداعية، كيف ارتفعت مشاعرها وعلت اهتماماتها، وانفسح أمامها المجال.. فما عادت ترى الأمور بعيون الجاهلية حتى إذا مات ابنها أو أخوها ملأت الدنيا نياحاً وبكاءً وقضت بقية حياتها حزينة يذكّرها كل شيء بفقيدها.. كما قالت الخنساء:

(1) البداية 3/ 274.

يـذكّـرنـي طـلـوع الـشـمـس صـخـرا وأذكـره لـكـل غـروب شـمـس..

إنها اليوم ترى الدنيا بداية الرحلة.. وبعد الدنيا آخرة.. وإذا كانت الدنيا أياماً وتنقضي.. فإن الآخرة خلود وبقاء.. فإما الجنة أبداً.. أو النار أبداً..

وأختنا المسلمة هنا تسأل.. وقد تحكم عقلها بعواطفها.. فإن كان ابنها في النار فلتبك ليس فقط رحيله عنها.. ولكن مصيره أيضاً.. وإن كان في الجنة صبرت واحتسبت.. بل وحمدت الله ودعت أن يجمعها الله به في مستقر رحمته..

هكذا انتقلت المرأة الجاهلية للإسلام.. فهل تراها نقلة بسيطة؟!

(56)

أم سليم تضرب المثل

عن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقُبض الصبي، فلما رجع قال: ما فعل ابني؟

قالت أم سليم: هو أسكن ما كان، فقرّبت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ، قالت:

واروا الصبي، فلما أصبح أتى أبو طلحة رسول الله ﷺ فأخبره.

فقال: «**أعرستم الليلة؟**».

قال: نعم. قال: «**اللّهم بارك لهما**». فولدت غلاماً[1].

وأم سليم هذه تحتل في تاريخنا مكاناً سامقاً مرموقاً.. وفي مواقفها عبرة لمن أراد الاعتبار.. وهي تمثل النموذج الأرفع للدعاة الرجال والنساء السائرين في موكب الدعوة.

---

(1) رواه البخاري.

ولنذكر هنا بعض المواقف الخالدة لهذه المرأة العظيمة:

مع زوجها أبي أنس

دخل الإسلام قلب أم سليم، ولم يدخل قلب زوجها مالك بن النضر والد أنس، وكانت تتردد على المسجد، وتسمع من نساء النبي ﷺ، وتحاول إقناع زوجها والد طفلها بالإسلام ما وسعها الأمر.. ولكنه أبى. وكلما ازدادت ترغّبه في الإسلام، ازداد عناداً وإصراراً على الكفر. وفي يوم جاءت أم سليم إلى البيت فوجدت زوجها فقال لها: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي؟

فقال: كان أعرابياً اصطفاه الله واختاره وجعله نبياً.

قال: وما الذي جئت به اليوم؟

قالت: حُرّمت الخمر..

وما لها لا تحرّم وهي التي تفقد الإنسان عقله، وهي أم الخبائث.. ولكن أبا أنس لم يكن في هذا المستوى الذي يدرك قيمة هذه البشرى التي تزفها إليه زوجها، فقال: هذا فراق بيني وبينك، فمات مشركاً..

وقبلت أم سلمة الفراق، وعاشت للدين الجديد، تحيا به، وتغذو أنسها من حكمته وتعاليمه.. ما وسعها الأمر ذلك.

مع أبي طلحة

وجاء أبو طلحة يخطب أم سليم.. وكيف تقبله وقد فارقت زوجها من أجل الإسلام؟ ويدور حوار بين امرأة تعتز بإسلامها، وبين رجل يتفنن في استخدام المغريات لإقناعها.. قالت له:

أما إني فيك راغبة، وما مثلك يرد، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة لا يحل لي أن أتزوجك..

فقال: وماذا دهاك يا رميصاء؟.

قالت: وماذا دهاني..؟.

قال: أين أنت من الصفراء والبيضاء..؟.

قالت: لا أريد صفراء ولا بيضاء، فأنت امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً.. أما تستحي أن تعبد خشبة نجّرها لك حبشي بني فلان.. إن أنت أسلمت فذاك مهري!.

قال: ومن لي بهذا؟

قالت: يا أنس قم فانطلق مع عمك..

وأمام رسول الله ﷺ ينطق أبو طلحة بالشهادتين معلناً إسلامه..

فتقبله أم سليم زوجاً وتقول لابنها: زوج أبا طلحة يا أنس.

خالصة لله ورسوله

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال:

كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم رضي الله عنها ونسوة معها من الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى.

وروى مسلم عن أنس أيضاً: أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجراً، ويسألها رسول الله ﷺ: «**ما هذا الخنجر؟**» فتقول: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه.

وكانت أم سليم وزوجها أبو طلحة يتعهدان النبي ﷺ وأصحابه بالطعام، ولطالما جاء النبي وأصحابه إلى بيت أبي طلحة وهو يقول لأم سليم: هلمي ما عندك يا أم سليم.

ويوم أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه صنعت له أم سليم طعاماً وأرسلته مع ابنها (والناس يومئذ في جهد).. فقال أنس: إن أم سليم تقرئك السلام وتقول: إن هذا منّا لهو قليل.

أم سليم تحتسب ابنها

فإذا كانت أم سليم بهذه النفسية العالية.. آمنت بالإسلام وفارقت زوجها من أجله. وكان مهرها إسلام أبي طلحة من بعد زواجها الأول.. مؤمنة صابرة

محتسبة مجاهدة.. أكثير عليها بعد ذلك.. أن تفهم أن ابنها أمانة عندها وأن الحياة كلها وديعة لصاحبها، أفإذا استردها.. أيحق لهم أن يجزعوا؟

لم تجزع بل أمضت الحياة كما ينبغي لها أن تمضي.. وبارك الله لها في بيتها وذريتها ورزقها حتى يقول ابنها أنس رضي الله عنه:

«لقد دفنت من صلبي مائة غير اثنين وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين».

فهل يدرك إخواننا وأخواتنا كيف يكون العمل في ميدان الدعوة.. وهل لهم أن يتخذوا من أمثال أم سليم رضي الله عنها قدوة حسنة؟.

(57)

سمية أول شهيدة في الإسلام

أخرج الحاكم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ بياسر وعمّار وأم عمّار وهم يُؤذَون في الله تعالى، فقال لهم: «**صبراً يا آل ياسر، صبراً يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**». وطعن أبو جهل سمية في قُبلها فماتت، ومات ياسر تحت العذاب.. أما عمّار فلم يتركوه حتى ذكر آلهتهم بخير.

هذه لوحة خالدة أبطالها ثلاثة: ياسر ابن عامر العنسي حليف أبي حذيفة المخزومي القرشي، وابنه عمار، وزوجه سمية بنت خيّاط. أسلم عمّار، وعرض الإسلام على أمه فأسلمت، وعرضه على أبيه، فقال له: متى تصحبنا إلى محمد لنسمع منه؟.

وأقبل المساء من ذلك اليوم وإذا أبو جهل عمرو بن هشام قد أقبل في فتية من بني مخزوم فوضعوا عمّار وأبويه في الحديد، وأشعلوا في دار ياسر النار وتفنن أبو جهل ونفر من سادة قريش وعبيدهم بتعذيب هؤلاء، يخزّونهم بالرماح والخناجر، يلهبونهم بالسياط، يعبثون بأجسادهم وهم يتضاحكون ويتصايحون، يطرحونهم أرضاً، يحرّقونهم بالنار، يلقون عليهم الأحجار الثقال.. يسكبون

عليهم الماء، وأبو جهل ينتظر متحرق النفس أن يسمع من أحدهم صيحة أو أنة أو شكاة.

ويمر النبي ﷺ بالرهط المعذبين، فيسمع المشركون صوت ياسر لأول مرة من يومهم ذاك، يقول: الدهر هكذا يا رسول الله.

قال رسول الله: «**أبشروا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**».

وتقول سمية: أشهد أنك لرسول الله، وأشهد أن وعدك الحق.

ويفقد أبو جهل أعصابه ويقول: لتذكرنّ محمداً بسوء أو لتموتنّ.. وتجيب سمية: بؤساً لك ولآلهتك.

وأخرج الحنق أبا جهل عن طوره فجعل يضرب في بطن سمية برجله.. ثم يطعنها بحربة كانت بيده، فتشهق شهقة خفيفة ثم تكون أول شهيدة في الإسلام.

وسجلت سمية بنت خياط سبقها على رهطها.. وعلى أخواتها المسلمات.. آمنت بالله ورسوله، وما كان لإيمانها أن تهزه الرياح العواتي، وثبتت في ميدان الجهاد كالجبال الرواسي، وتقدمت إلى ميدان الشهادة باطمئنان وتسليم واستعلاء. وهي تنظر إلى العلاء إلى بشارة النبي ﷺ: «**إن موعدكم الجنة**».

هكذا كانت سيرة الرعيل الأول من الرجال والنساء، في الإيمان والثبات.. وما على الأجيال بعدهم إلا الاقتداء بهذه السيرة العطرة.

(58)
أسماء ذات النطاقين

دور أسماء في الهجرة

أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة إلى المدينة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[1].

وخرج المهاجران نبي الله وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور ليمكثا فيه ثلاث ليال، حتى إذا خمدت نار الطلب، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش، وهدأت ثائرات قريش بعد استمرار المصادرة الحثيثة ثلاثة أيام بدون جدوى، استأنف المهاجران طريقهما إلى المدينة.

كانت أسماء بنت أبي بكر عنصراً رئيساً في ترتيب الرحلة المباركة. حتى إذا مضت الثلاث، أتتهما بسفرة من الطعام يتبلغان بها في سفرهما، ولكن الوقت أعجلها أن تجعل للسفرة عصاماً (علاقة تعلقها به في الرحل) فلم تجد غير نطاقها، فشقته نصفين، فعلقت السفرة بشق منه، وتنطقت هي بالشق الآخر، فسمّيت من يومها (أسماء ذات النطاقين)[2].

وذهب الاسم خالداً على الدهر، فإذا كانت صاحبته شابة صغيرة إلا أنها تحفظ السر، وترتب السفرة، وتمشي وحيدة إلى غار ثور، تكلأ الرفيقين بالرعاية والعناية، وتتصرف عندما نسيت العصام تصرّف الداعيات الحريصات الذكيات.

وحدثت أسماء فقالت: لما خرج المهاجران أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟

---

(1) سورة الأنفال، الآية: 30.

(2) صور من حياة الرسول، أمين دويدار، ص: 246.

قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدّي لطمة طرح منها قرطي[1].

وأبو جهل عظيم قريش وجبّارها، والمتآمر الأول على الدعوة وقائدها، نال منه المسلمون المستضعفون كما لم ينالوا من غيره، ولم ينسوا بعد كيف سقطت بيده سمية، وبعدها ياسر زوجها شهيدين يشهدان ظلم الطاغية.. ومع ذلك تقف أسماء الصغيرة أمامه، وتحفظ سرّ المهاجرَيْن، وتتحمل الإيذاء والضرب.. فلا يضرها ذلك ما دام في سبيل الله، وما دامت تعلّم أخواتها الداعيات على مرّ الأيام كيف يتصرفن ويتحملن ويصبرن في مواجهة الطاغوت.

مع جدها أبي قحافة

وتحدث أسماء فتقول: إن أبا بكر احتمل معه ماله كله.. فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليه ثوباً، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس.

وتضيف أسماء: ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

والإنسان ليعجب كيف استطاعت هذه الشابة أن تتصرف هذا التصرف العاقل. من أين أتتها كل هذه الحكمة؟ فكرت كيف تهدّأ الشيخ، ولم تفكر من أين تأكل أو تشرب. ولكنها تربية أبي بكر، القريب من بيت النبوة، ولا غرابة بعد ذلك فيما يصدر عن أسماء من عقل راجح، وحكمة بالغة، وتصوّر للأهداف البعيدة، واستعلاء على تفاهات الدنيا والتعلق بالآخرة.

---

(1) سيرة ابن هشام 2/ 131.

مع ابنها عبد الله بن الزبير

ويخرج نعيم بن حمّاد في (الفتن) عن ضمام: أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرسل إلى أمه أن الناس قد انفضوا عني وقد دعاني هؤلاء إلى الأمان.

فقالت: إن خرجت لإحياء كتاب الله وسنة نبيه فمت على الحق، وإن كنت إنما خرجت على طلب الدنيا فلا خير فيك حياً ولا ميتاً[1].

واللوحة التي نحن بصددها تصور موقف أسماء مع ابنها عبد الله بن الزبير، فلقد استشهد الزبير أيام حرب الجمل، وبقيت أسماء بعده، تتعزى عن فقده بولدهما عبد الله.. والفتن متلاحقة، ظلمات بعضها فوق بعض استشهد علي وبعده الحسين رضي الله عنهما.. ووصل الدور إلى عبد الله بن الزبير الذي احتمى بالكعبة من جور الحجاج، ولما أحاط الحجاج ومعه جند الشام ببيت الله الحرام وتفرّق الناس عن عبد الله، دخل على أمه فقال:

يا أماه قد خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي إلا اليسير، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟.

فقالت: يا بنيّ أنت أعلم بنفسك، فإن خرجت لإحياء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمتّ على الحق، وإن خرجت في طلب الدنيا فلا خير فيك حياً ولا ميتاً، وإن قلت: كنت على الحق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين.

قال: يا أماه أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثل بي ويصلبوني.

قالت: إن الشاة لا يهمها السلخ بعد الذبح، فامض على بصيرتك واستعن بالله. فقبّل رأسها وقال: هذا رأيي، والذي قمت به داعياً إلى يومي هذا ما ركنت إلى الدنيا وما أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرماته، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة، فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا فلا يشتدّنّ حزنك، وأسلمي الأمر لله.

---

(1) الكنز 7/ 57، وحياة الصحابة 1/ 744.

فقالت له أمه: إني لأرجو أن يكون عزائي فيك جميلاً، إن تقدمتني احتسبتك، وإن ظفرت سررت بظفرك، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك.

فقال: جزاك الله خيراً، فلا تدعي الدعاء لي.

قالت: لا أدعه أبداً.

ثم قالت: اللّهم ارحم طول ذاك القيام في الليل الطويل، وذاك النحيب والظمأ في هواجر مكة والمدينة، وبرّه بأبيه وبي. اللّهم قد أسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت، فأثبني فيه ثواب الصابرين الشاكرين.

ثم أقبل عبد الله على القتال حتى قتل، فصلبه الحجاج على جذع فوق الثنية ثم أرسل إلى أمه أسماء، فأبت أن تأتيه.

مع الحجاج وجهاً لوجه

وقال الحجاج: لتأتينّي أو لأبعثنّ إليك من يسحبك من قرونك.

فأبت وقالت: والله لا آتيه حتى يبعث إليّ من يسحبني من قروني.

فقال الحجاج: أروني مكانها، ثم انطلق حتى وقف عليها فقال: كيف رأيت، نصر الله الحق وأظهره.

فقال: ربما أديل الباطل على الحق وأهله، وإنك بين فرثها والجنة.

فقال: إن ابنك ألحد في هذا البيت، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، وقد أذاقه الله ذلك العذاب الأليم.

قالت: كذبت، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة وسرّ به رسول الله ﷺ وحنكه بيده وكبّر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحاً به، قد فرحت أنت وأصحابك بمقتله، فمن كان فرحه يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك، وكان مع ذلك براً بوالديه قواماً بكتاب الله معظماً لحرمة الله يبغض من يبغض الله ﷻ، أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول: «**يخرج من ثقيف**

(1) سورة الحج، الآية: 25.

كذاب ومبير»، فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا أخالك إلا إياه. فقام عنها الحجاج ولم يرجع.

ثم أنزل ابنها عبد الله فأتى به أسماء فغسلته وطيبته وحنطته ثم دفنته رضي الله عنها [1].

وهذه اللوحة العظيمة، لامرأة عظيمة، تحتاج من الكتّاب أن يكتبوا حولها سفراً كاملاً.. فهيهات أن تجد في تاريخ الأمم الأخرى مثل هذه الحكمة، والقوة، والشجاعة، والصبر، والإيمان. في مثل هذا الموقف العصيب تقفه الأم مع فلذة كبدها شامخة لا تبالي، إلا بنصرة الإسلام: (إن خرجت في طلب الدنيا فلا خير فيك حياً ولا ميتاً، وإن خرجت للحق فامض لما خرجت له..). أعطوه الدنيا.. وجاء إلى أمه فأبت عليه.. وقالت: إن الأحرار لا يتراجعون عن طريق الحق.

هل أمٌّ غير أسماء تستطيع أن تقول لابنها: (إن الشاة لا يهمها السلخ إذا قتلت).. وهل بطلة أقوى من أسماء تستطيع أن تقول لطاغية العصر الحجاج: (أما الكذاب فقد رأيناه. ولا أخالك إلا مبير هذه الأمة).

هذه هي أسماء بنت أبي بكر، الداعية العظيمة والقدوة الرائعة لأخواتها الداعيات المسلمات اللواتي عرفن الطريق وأصررن على الولوج.

(59)

خولة بنت ثعلبة تشتكي إلى الله

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سنّي وانقطع ولدي ظاهر مني. اللّهم إني أشكو إليك. فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى

(1) الكامل لابن الأثير 4/ 356، والبداية والنهاية لابن كثير 8/ 333.

زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[1] [2].

وورد في الطبقات الكبرى عن عمران بن أبي أنس قال: كان من ظاهر في الجاهلية حرمت عليه امرأته آخر الدهر. وكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت. فلاحَى امرأته خولة بنت ثعلبة (أي نازعها وشاتمها) فقال: أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، فقال لامرأته: ما أراك إلا قد حرمت علي. قالت: ما ذكرت طلاقاً وإنما كان هذا التحريم فينا قبل أن يبعث الله رسوله، فأت رسول الله فاسأله عما صنعت، فقال: إني لأستحيي منه أن أسأله، فأت أنت رسول الله ﷺ، عسى أن تكسبينا منه خيراً، تفرجين به عنّا ما نحن فيه. فلبست ثياباً ثم خرجت حتى دخلت عليه في بيت عائشة فقالت: يا رسول الله إن أوساً من قد عرفت، أبو ولدي وابن عمّي وأحب الناس إليّ، وقد عرفت ما يصيبه من اللمم، وعجز مقدرته وضعف قوته وعيّ لسانه. وأحق من عاد عليه أنا بشيء إن وجدته، وأحق من عاد عليّ بشيء إن وجده هو، وقد قال كلمة، والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً. قال: أنت عليّ كظهر أمي. فقال رسول الله ﷺ: «**ما أراك إلا قد حرمت عليه**». فجادلت رسول الله ﷺ مراراً ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك شدة وجدي وما شقّ عليّ من فراقه، اللّهم أنزل على لسان نبيك ما يكون لنا فيه فرج.

قالت عائشة: فلقد بكيت وبكى من كان معنا من أهل البيت رحمة لها ورقّة عليها، فبينما هي كذلك بين يدي رسول الله تكلمه، وكان رسول الله إذا نزل عليه الوحي يغطّ في رأسه ويتربّد وجهه وتجد برداً في ثناياه ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان. وسري عن رسول الله وهو يبتسم فقال: قد أنزل الله فيك وفيه. ثم تلا عليها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. ثم قال: مريه أن يعتق رقبة. فقالت: وأي رقبة! والله ما يجد رقبة وما له خادم غيري. ثم قال: مريه فليصم شهرين متتابعين. فقالت: والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك. قال: فمريه

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) سورة المجادلة، الآية: 1.

فليطعم ستين مسكيناً. قالت: وأنّى له هذا؟ قال: فمريه فليأت أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطرَ وسْق تمراً فيتصدق به على ستين مسكيناً. فنهضت فترجع إليه فتجده جالساً ينتظرها فقال: يا خولة ما وراءك؟ قالت: خيراً.. قد أمرك رسول الله ﷺ أن تأتي أم المنذر فتأخذ منها شطر وسق تمراً فتصدق به على ستين مسكيناً[1].

هذه هي خولة بنت ثعلبة.. يقع عليها ظلم.. هو من بقايا الجاهلية.. فتهرع إلى رسول الله لتجد عنده الحل.. وعندما قال لها رسول الله: «**ما أراك إلا قد حرمت عليه**».. قالت: يا رسول الله إلى الله أشكو.. فيسمع الله شكاتها وينزل فيها قرآناً يعطيها حقها.. ويريح بالها وبال زوجها.. ويرسم للمسلمين الطريق في مثل هذه المشكلة العائلية.

لم تعد المرأة التي تمثلها هنا خولة بنت ثعلبة.. أنثى ينظر إليها المجتمع على أنها من سقط المتاع.. بل عضو مهم في المجتمع.. إذا وقع عليها ظلم رفعت أمرها إلى رسول الله.. ثم إلى الله. والله يسمع حوارها ويتكرم فيحكم في أمرها..

في خلافة عمر.. وقف طويلاً معها يسمع كلامها.. فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز..؟ فقال: وما لي لا أقف.. إنها خولة.. أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمع عمر؟.

(1) رواه البخاري ومسلم.

مراجع البحث

1 - القرآن الكريم.
2 - البخاري.
3 - مسلم.
4 - النسائي.
5 - أحمد.
6 - أبو داوود.
7 - تاريخ الطبري.
8 - إحياء علوم الدين.
9 - حلية الأولياء.
10 - الواقدي.
11 - البداية والنهاية - ابن كثير.
12 - سير أعلام النبلاء - الذهبي.
13 - الرسول المعلم - عبد الفتاح أبو غدة.
14 - الرسول العربي المربي - عبد الحميد الهاشمي.
15 - منهج القرآن في التربية - محمد شديد.
16 - القدوة وإحياء الضمير - نسيبة عبد العزيز المطوع.
17 - فلسفة التربية الإسلامية في القرآن - علي خليل أبو العينين.
18 - المدرس في التربية الإسلامية - عبد الغني عمود.
19 - السبق التربوي في فقه الإمام الشافعي - بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب.
20 - خلفاء الرسول - خالد حمد خالد.
21 - القادسية، أحمد عادل كمال.
22 - خالد بن الوليد، أ. أكرم.

obeikandl.com

23 - سيف الله خالد بن الوليد - أحمد الشرباصي.
24 - وصف المدائن السبعة.
25 - ديوان جراح وأفراح - د. حسان حتحوت.
26 - العقد الفريد - د. حسان حتحوت.
27 - عشر سنوات مع الأستاذ حسن البنا - د. حسان حتحوت.
28 - الإمام الشهيد حسن البنا - بين السهام السوداء وعطاء الرسائل - د. جابر قميحة.
29 - الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ - محمود عبد الحليم.
30 - حسن البنا - الرجل القرآني - روبير جاكسون.
31 - حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر - محمد حامد أبو النصر.
32 - ذكريات لا مذكرات - عمر التلمساني.
33 - الإخوان المسلمون دعاة حق لا طلاب حكم - محمد سلامة جبر.
34 - سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد - د. عبد الفتاح الخالدي.
35 - في قافلة الإخوان المسلمين - عباس السيسي.
36 - من سجل ذكرياتي - محمد محمود الصواف.
37 - تفسير ابن كثير.
38 - في ظلال القرآن - سيد قطب.
39 - كتب السيرة.
40 - التربية ودورها في تشكيل السلوك - مصطفى محمد الطحان.
41 - إحياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي.
42 - التصوير الفني في القرآن - سيد قطب.
43 - التربية وطرق التدريس - صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد.
44 - منهج التربية الإسلامية - محمد قطب.
45 - أصول التربية الإسلامية وأساليبها - عبد الرحمن النحلاوي.
46 - المراهقون - سمير الراضي.
47 - دعاة لا قضاة - حسن الهضيبي.
48 - معالم في الطريق - سيد قطب.

obeikandl.com

49 - مشكلات الدعوة والداعية - فتحي يكن.
50 - من روائع حضارتنا - د. مصطفى السباعي.
51 - وسائل التربية الإسلامية - د. عجيل النشمي.
52 - التربية الإسلامية - يوسف القرضاوي.
53 - الرحيق المختوم - المباركفوري.
54 - في المفاهيم الإسلامية والحركية - هاشم محمد.
55 - صيد الخاطر - ابن الجوزي.
56 - مدارج السالكين - ابن القيم.
57 - خالد بن الوليد - صادق عرجون.
58 - صور من حياة الصحابة - د. عبد الرحمن الباشا.
59 - كنز العمال.
60 - حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهلوي.
61 - جولة في رياض العلماء - د. عمر الأشقر.
62 - موطأ الإمام مالك.
63 - طريق الدعوة في ظلال القرآن - سيد قطب.
64 - خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - سيد قطب.
65 - صور من حياة الرسول - أمين دويدار.
66 - فقه السيرة - محمد الغزالي.
67 - الكامل - ابن الأثير.

obeikandl.com

كتب للمؤلف

1 - الفكر الحركي بين الأصالة والانحراف (اللغة العربية - التركية).
2 - الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا.
3 - القومية بين النظرية والتطبيق (اللغة العربية - التركية).
4 - نظرات في واقع المسلمين السياسي.
5 - نظرات في واقع الدعوة والدعاة.
6 - القيادة في العمل الإسلامي (اللغة العربية - الأوردية - أندونيسي - بوشتو).
7 - في التدريب التربوي (اللغة العربية - الإنكليزي - التركية - التأمل - الأردو - كردي).
8 - حاضر العالم الإسلامي - 1991م.
9 - حاضر العالم الإسلامي - 1992م (اللغة العربية - التركية).
10 - فلسطين والمؤامرة الكبرى (اللغة العربية - التركية - الأوردو).
11 - مستقبل الإسلام في القوفاز وبلاد ما وراء النهر (اللغة العربية - التركية - الأوردو).
12 - دور الشباب المسلم في إعادة بناء الأمة.
13 - النظام الإسلامي منهاج متفرد.
14 - رد على كتاب آيات شيطانية.
15 - شخصية المسلم المعاصر (اللغة العربية - التركية - الأوردو - الإنكليزية - الألبانية - البولندية - الفلبينية).
16 - الإسلام دعوة التحرير (بالاشتراك مع كتاب آخرين).
17 - الصراع الحضاري ودور الشباب المسلم.
18 - كيف نعالج المجاعة في أفريقيا - الظاهرة والحل.
19 - المرأة في موكب الدعوة (اللغة العربية - الأوردية - الألبانية).
20 - تحديات سياسية تواجه الحركة الإسلامية (اللغة العربية - الأوردو - الإنكليزية - الأندونيسية).

obeikandi.com

21 - صف الداعية المسلم.
22 - رسالة المسلمين في بلاد الغرب (بالاشتراك مع كتاب آخرين).
23 - أمهات المؤمنين في مدرسة النبوة.
24 - العولمة تعيد صياغة العالم.
25 - التربية ودورها في تشكيل السلوك.
26 - دليل العمل الطلابي (اللغة العربية - الاندونيسية).
27 - القدس والتحدي الحضاري.
28 - الفكر الإسلامي الوسط (دراسة في فكر الإخوان المسلمين).
29 - معالم تربوية (التربية بالقصة) - الجزء الأول.
30 - العمل الجماعي (أهميته ومشروعيته).
31 - الشورى ودورها في إصلاح الفرد والمجتمع.
32 - ماذا بعد أحداث سبتمبر؟.
33 - كيف تواجه الأمة المسلمة التحدي الصهيوني.
34 - بشائر النصر.
35 - تنظيم الوقت.
36 - آداب السلوك في الإسلام.
37 - أوراق مسافر - طفل من القرية.
38 - الإخوان المسلمون في مصر.
39 - الإخوان المسلمون في سوريا ولبنان.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	7
التربية بين المثال والواقع	7
الجزء الأول التربية بالقدوة	
أساليب النبي ﷺ في التربية	13
التربية بالقدوة	13
القدوة كالإمام	16
قدوة القدوات	17
أما لك بي أسوة؟	19
الكل أمام القانون سواء	20
نقض تقليد جاهلي متأصل	20
كاد الناس أن يهلكوا	21
الفصل الأول: الأسوة الحسنة	23
(1) ما أخرجنا إلا الجوع!	23
إن في قصصهم لعبرة	25
الفصل الثاني: مع الخلفاء الراشدين	27
(1) عمر بن الخطاب يأمر بحرق باب القصر	27
ابن مسلمة يحرق باب القصر	28
كتاب عمر إلى سعد	29
(2) يا عمر الخير جزيت الجنة	29
(3) السلام عليكم يا أصحاب الضوء!	30

obeikandl.com

(4) والله لأمير المؤمنين أشد فرقاً! 32
(5) أم كلثوم وعقد اللؤلؤ 33
(6) من هؤلاء لأسُوأنَّهم 35
(7) أول قراض في الإسلام 36
(8) قتيل في طرقات المدينة 37
(9) ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء 39
(10) امرأة غريبة تمخض وليس عندها أحد! 40
(11) أم كلثوم بنت أبي بكر ترفض الزواج من عمر 41
(13) بين عمر وسعيد بن عامر الجُمحي 42
(14) عمر يولي سعداً جبهة العراق 45
(15) أقوى العدة في الحرب 47
سعد يصف القادسية لعمر 49
الفصل الثالث: مع قادة الفتح 51
(1) بين أبي عبيدة وأهالي حمص 51
(2) أبو عبيدة أمين هذه الأمة 52
التربية بالقدوة 54
(3) بين خالد وجرجة 54
(4) فارس اليرموك الملثّم 56
(5) عكرمة يقود كتيبة الموت! 59
(6) في ظلال اليرموك 61
(7) أبو محجن الثقفي من أبطال القادسية 62
أبو محجن يعود للقيود 63
(8) الله أكبر.. هذا أبيض كسرى 64
في مواجهة القصر الأبيض 65
الرسول يبشّر بفتح القصر الأبيض 66
(9) الأشجّ عامر بن عبد القيس 67

obeikandl.com

(10) سراقة بن مالك وسواري كسرى 68
الفصل الرابع: مع الأئمة العظماء 71
(1) الإمام أبو حنيفة يموت في السجن 71
(2) الإمام مالك بن أنس عالم المدينة 73
صلاحه وتقواه 73
زهده وورعه 74
(3) الإمام الشافعي وحسن معاشرته لزوجته 75
حضوره مجلس العلماء 78
امتناعه عن تولية القضاء 78
مكانة الشافعي 78
(4) الإمام أحمد ومحنة خلق القرآن 79
قصته مع المأمون 79
رفع المحنة عنه 82
(5) يا أحمد أنت اليوم رأس الناس يقتدون بك 83
(6) بين الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي 85
(7) الإمام سفيان بن سعيد الثوري 87
سفيان الثوري والمهدي 88
امتناعه عن قضاء الكوفة 88
سفيان الثوري وأبو جعفر المنصور 89
(8) الإمام علي زين العابدين 89
(9) الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمٰن 90
(10) الإمام أبو عمرو الأوزاعي 92
علمه ومكانته 93
عبادته وورعه 93
سياسته ونصحه للملوك والخلفاء 94
كرمه وسخاؤه 94

openkanar.com

شجاعته وجراءته 94
الأوزاعي وأبو جعفر المنصور 95
الفصل الخامس: مع الإمام حسن البنا وإخوانه 97
(1) من هنا تكون البداية 98
(2) مستقبل الثقافة في مصر 100
(4) تواضع الدعاة إلى الله 104
(5) الرسول زعيمنا 104
(6) الإمام الشهيد يعاتب تلميذه 105
(7) استشهاد الإمام حسن البنا 106
(8) لو خرجنا من هذه الآلاف بواحد! 107
(9) هل نمت يا عمر؟ 108
(10) لا نستعين بمن يعصي الله 109
(11) الشيخ أحمد عبد الرحمٰن البنا يرثي ابنه 110
(12) عبد العزيز بلال 111
(13) رسائل المجاهدين العشاق 112
(14) حسان حتحوت الطبيب الإنسان 118
الفصل السادس: مع الإمام حسن الهضيبي 121
(1) مصطفى أمين يدلي بشهادته! 121
الفصل السابع: مع عمر التلمساني 123
(1) تربية الكتاكيت أم إعداد أمة؟ 123
(2) بين الجباة والدعاة 126
(3) من أخلاق الأستاذ عمر التلمساني 128
(4) شلّت يميني إن أنا وقعت! 130
الفصل الثامن: مواقف من تاريخنا 133
(1) من أحاديث السفراء 133
لماذا تخافون الإخوان؟ 134

obeikandl.com

(2) الشيخ محمد الرضواني 134
(3) شهيد القسطل عبد القادر الحسيني 135
(4) وصية عثمان: مؤسس الدولة العثمانية 137
(5) نور الدين زنكي 138
(6) أبو حازم والخليفة سليمان بن عبد الملك 139

الجزء الثاني: التربية بالقصة

لقد كان في قصصهم عبرة 149
(1) قصة أصحاب الغار 152
دروس من القصة 153
(2) قصة الراهب والعالم 154
دروس من القصة 155
(3) قصة أصحاب الأخدود 157
لقد كان في قصصهم عبرة 157
المحنة سنة الدعوات 157
باسم الله رب الغلام 158
أصحاب الأخدود 159
معالم تربوية 159
القيمة الكبرى في الميزان 161
مجال المعركة 162
والفتنة أنواع 164
(4) قصة الرجل يزور أخاه 165
شرح القصة 166
درس من القصة 166
(5) قصة رجل دخل الجنة في كلب سقاه 167
دروس تربوية 168

obeikandl.com

من روائع حضارتنا 168
(6) صامتا عن الحلال وأفطرتا على الغيبة 172
تربية ميدانية 172
الغيبة داء وبيل 173
(7) ولا بزفرة واحدة! 174
ووصينا الإنسان بوالديه حسناً 174
فكيف أوصاه؟ 175
الأسرة في ديار الغرب 176
(8) كل مصيبة بعدك جلل 176
(9) دعوها فإنها منتنة 178
الروابط والوشائج 178
(10) ليخرجن الأعز منها الأذل 180
زعيم النفاق مع وجوه الخزرج 181
عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول 181
حتى يأذن لك رسول الله 182
(11) عظمة القيادة في غزوة بدر 182
وهكذا القائد 183
شاورهم قبل المعركة 184
واستمع إلى مشورتهم في ميدان المعركة 184
وشاورهم بعد نهاية المعركة 185
(12) التمرد بين النفاق وحب الدنيا 186
فكيف تصرف القائد مع هذا الانحراف؟ 188
التمرّد الأوّل 188
(13) الثوابت لا تتغير بالأمور الطارئة 190
(14) قصة الرهط الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ 192
دروس من القصة 192

obeikandi.com

(15) أدب المسلم مع قيادته 194
(16) جنسية المسلم عقيدته 196
أسرى بدر 197
أم المؤمنين أم حبيبة 197
مفاصلة كاملة 197
جنسية المسلم 198
(17) القائد ودوره في الدعوة 199
(18) والصدقة برهان 201
(19) اللّهم احشرني مع صاحب النقب 203
أما معنى الإخلاص 203
وللإخلاص آثار في سلوك المؤمن منها 204
ومن السبل المؤدية إلى الإخلاص 205
صاحب النقب 207
(20) التربية حب وثقة 208
لا تربية بغير حب 209
(21) بين أبي قتادة وخالد بن الوليد 210
(22) الأسوة الحسنة 212
(23) الفاروق يقبل رأس عبد الله بن حذافة السهمي 213
(24) عمر بن الخطاب يطالب أهله 215
(25) بؤساً لعمر! كم قتل من أطفال المسلمين 216
(26) فاطمة بنت الخطاب 217
(27) ليعلم أني لم أخنه في الغيب 219
اللوحة المعبرة 220
(28) ستر المسلم 220
إن الله ستير يحب الستر 221
(29) بين بلال وخالد بن الوليد 222

obeikandi.com

(30) أنا عربية وهي مولاة 228
(31) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية 230
أسلوب الحوار 232
(32) أبعث معكم القوي الأمين 233
اكتشاف الطاقات 233
(33) خبيب بن عدي في ساحة الموت 234
الحب والتضحية 234
(34) أبا عبد الله، ما فعل شراد جملك؟ 236
(35) أنس بن مالك يحفظ سرّ النبي ﷺ 238
إرادة التغيير 239
(36) قصة كعب بن مالك 240
التردد يفسد العزم 241
مجتمع الضعفاء والمترددين 241
الاعتذار بالكذب 242
النجاة في الصدق 242
مقاطعة المسلمين 243
التزام الصف المسلم 243
هذه فتنة أكبر 243
اعتزل امرأتك 243
توبة الله 244
فرحة المسلمين بتوبة أخيهم 244
العهد على الصدق 245
دروس تربوية 246
(37) فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما 248
(38) لا تفتوا في أعضاد الناس 249
(39) عباد بن بشر 252

obeikandi.com

(40) غسيل الملائكة 253
(41) من يأخذ هذا السيف بحقه 254
(42) سعد بن الربيع 255
(43) انفروا خفافاً وثقالاً 256
(44) قصة خباب بن الأرت 258
دروس من القصة 258
(45) بين سلمان وأبي الدرداء 260
دروس من القصة 261
(46) قسمة ما عدل فيها! 262
الأنصار تجد على رسول الله ﷺ 264
يا معشر الأنصار 266
دروس وعبر 266
(47) قزمان يقاتل عن أحساب قومه 268
(48) خديجة الكبرى مثلهن الأعلى 269
(49) أم المؤمنين عائشة وحديث الإفك 271
(50) أم المؤمنين أم سلمة 273
(51) الصلاة جامعة 275
(52) لو مزجت بماء البحر لمزجته 276
(53) وما أردت أن تعطيه 277
(54) أم كلثوم بنت عقبة 279
(55) إن كان في الجنة صبرت 282
(56) أم سليم تضرب المثل 283
خالصة لله ورسوله 285
أم سليم تحتسب ابنها 285
(57) سمية أول شهيدة في الإسلام 286
(58) أسماء ذات النطاقين 288

obeikandl.com

دور أسماء في الهجرة 288
مع جدها أبي قحافة 289
مع ابنها عبد الله بن الزبير 290
مع الحجاج وجهاً لوجه 291
(59) خولة بنت ثعلبة تشتكي إلى الله 292
مراجع البحث 295
كتب للمؤلف 299
الفهرس 301

obeikandl.com